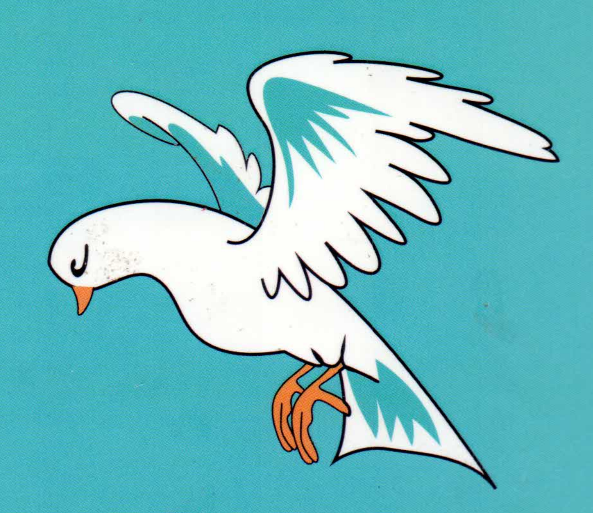
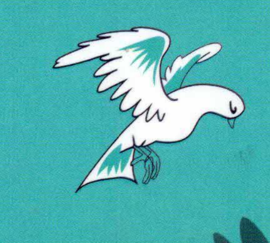
قصص الأنبياء

المجلد الثالث



بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . عبد الشافى السيد
إشراف : أ . حمدى مصطفى




العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية





قصص الأنبياء

المجلد الثالث





مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ..

مرحبًا بكم مع سيرة الأنبياء عليهم السلام ..

فالأنبياء عليهم السلام هم مصابيح الهدى ، وهم الأسوة والقدوة ، أرسلهم الله تعالى لإنقاذ البشرية ، وتحملوا الأذى فى سبيل دعوتهم لله عز وجل .. بذلوا الجهد وصبروا ليواصلوا الرسالة كما أمرهم الله تعالى .

ولأهمية قصص الأنبياء يقول الله ـ عز وجل :

﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ . [يوسف الآية ٣]

ويقول ـ تعالى :

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ . [الأعراف الآية ١٦٧]

هذه الآيات تشير إلى أهمية القصص ، وكيف أنها منهج قرآنى ربانى أصيل ، لتثبيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من بعده ؛ لعلهم يتفكرون ويتأملون ، ويعتبرون من هذه القصص ..

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ . [يوسف الآية ١١١]





قصص الأنبياء

موسى عليه السلام



المراضع

أَلْقَى اللَّهُ ـ تعالَى ـ مَحَبَّـةَ الصَّغيـرِ مُوسَى فى قَلْبِ فِرْعَوْنِ مِصْـرَ الْكافِـرِ ، كمـا أَلْقَاهـا مِنْ قَبْلُ فى قَلْبِ زَوْجَةِ الْفِرعَـوْنِ الْمُؤمنَـةِ الطَّيبـةِ ، فَوافـقَ على أَنْ يُرَبَّى فى الْقَصْـرِ .. وفى الأَثْنـاءِ صَـرَخَ مُوسَى طالِبـاً الطَّعامَ ، فتذَكَّرَتْ زَوْجَةُ الْفِرعَـوْنِ أَنَّهُ جائع ، ولابُدَّ مِنْ إِرْضاعِهِ ، فصَاحَ الْفِرعَـوْنُ :

ـ أَحضِروا مُرضِعَةً بسُرْعة لتُرضِعَهُ ..

وفى الْحالِ أَحْضَرَ الْحُرَّاسُ مُرضعَةً إِلى الْقَصْـرِ ، فَحملَتْ مُوسَى و قَدَّمَتْ لَهُ ثَدْيَهَا لِيَرْضَع ، لكنَّ مُوسَى صَـرَخَ رافِضـًا الرَّضَاعَـةَ مِنْهـا ، و اسْتَمرّ يَبْكى مِن الْجُوعِ ..

فَأَمرَ الْفِرعَـوْن بِإِحْضارِ مُرْضِعَةٍ أُخْرَى ، لكنَّ مُوسَى رَفَض أن يرضع منها هى أَيْضًا ..

فحضَـرَتْ مُرضِعَـةٌ ثالِثَـةٌ و رَابِعَـةٌ و خَامِسَـةٌ .. وفى النِّهايَـةِ كان فى قَصْـرِ الْفِرعَـوْنِ طَابُورٌ مِنَ الْمُرْضِعاتِ ، لكن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَفض الرَّضَاعَةَ مِنْهُنَّ جَميعًا ..

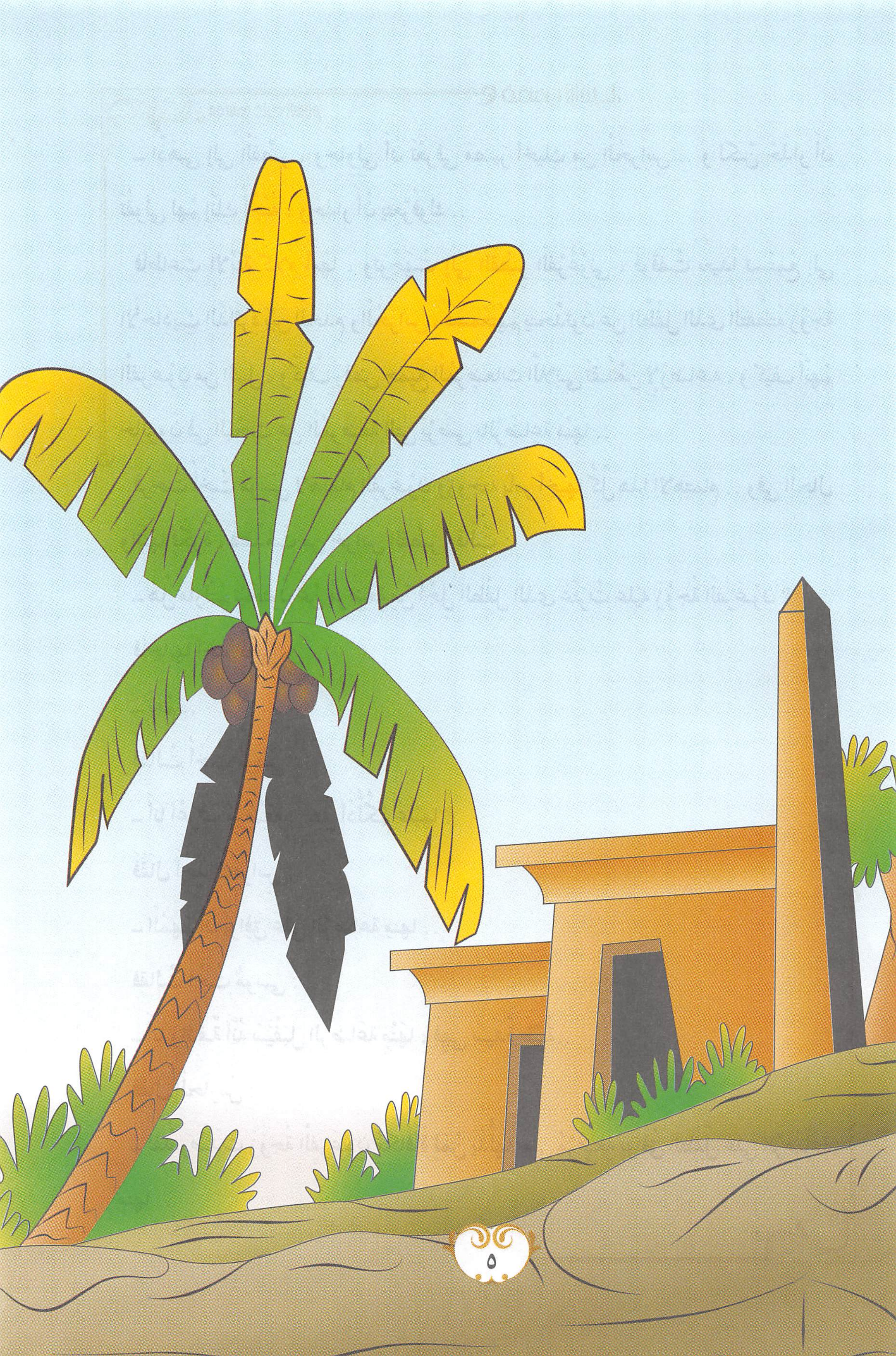
لقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ ـ تعالَى ـ على مُوسَى جَميع الْمَراضِع اللَّائى تَقَدَّمْنَ لإِرْضاعِـهِ حتَّى الآنَ ، وذلِك لِحِكْمَـةٍ يُرِيدُهَا ـ سُبْحانهُ ـ وهى إِرْجاعُ مُوسَى لأُمهِ ، كَىْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهَا فَلا تَحْزَنَ ..

فَلمَّا رَفَض مُوسَى جميعَ الْمَراضِع صَرَخَت زَوْجَـةُ الْفِرعَـوْنِ فى الْخدمِ و الْحُراسِ غَاضِبَةً :

ـ ابْنِى سَيمُـوتُ مِنَ الْجُـوعِ .. أُرِيدُ مُرْضِعـة يُوافقُ ابْنِى على الرَّضاعَة منْها .. ابحَثُوا فى كلِّ مكانٍ حتى تَجِدُوها ..

وفى نَفْسِ الْوَقْت كانَتْ أُمُّ مُوسَى قَلقَةً ومُتَحيرةً عَلَى مَصِيرِ طِفْلِها ، بَعْدَ أَنْ عَلمَتْ مِنَ ابْنتِها أَنَّهُ أَصْبَحَ فى قَصْرِ الْفِرعَوْنِ ، فقالَتْ لابْنَتِها:





ـ اذْهَبى إلَى الْقَصْر ، وحَاوِلِى أَنْ تَعْرفى مَصيرَ أَخيكِ مِنَ الْحُراسِ .. و لكِنْ حَذارِ أَنْ تَقُولى لَهمْ إِنَّكِ أُخْتُهُ ، وحَذارِ أَنْ يتعرَّفُوكِ ..

فأَطاعتِ الابْنَة كَلامَ أمهَا ، وتوَجَّهتْ إلَى الْقَصْرِ الْفرْعَوْنى ، فَوقفَتْ بعيداً تستَمِعُ إلى الأَحاديثِ الدَّائرة بَيْنَ الْخدَمِ والْحُراسِ ، فَسمعَتْهُمْ يَتحدَّثون عَنِ الطَّفْلِ الذى الْتقطْته زَوْجة الْفِرعَوْنِ مِنَ النيلِ ، وَكَيفَ رفض جميع الْمُرْضِعاتِ اللَّائِى تَقَدَّمْنَ لإِرْضاعِه ، و كَيْف أَنَّهمْ حائِرونَ فى الْبَحْثِ عَنِ الْمُرضِعَة التى يَرْضَى بالرَّضَاعِة منْها ..

فَرِحَتْ أُخْتُ مُوسَى لاهتمام الْفِرعَوْنِ وزوجته بأمر أخِيها كُلَّ هذا الاهتِمامِ .. وفى الْحالِ وَاتَتْها فِكْرةٌ ، فَتقَدَّمَتْ من حُراسِ الْقَصْرِ وقالَتْ :

ـ هَلْ مازِلْتُمْ تَبْحَثونَ عَنْ مُرضِعةٍ مِنْ أَجْلِ الطفْلِ الذى عَثَرَتْ عليْه زَوْجَةُ الْفِرعَوْنِ ؟

فأجابها أحد الْحُراسِ :

ـ نَعَمْ ..

فقالَتْ أُخْتُ مُوسَى :

ـ أَنا أعْرِف مُرْضِعَةً .. هلْ أدُلُّكُمْ عَلَيْها ؟

فَقَالَ أَحدُ الْحُراسِ :

ـ الْمُهِمُّ أَنْ يُوافِقَ عَلَى الرَّضَاعَةِ مِنها ..

فقالَتْ أُخْتُ مُوسَى :

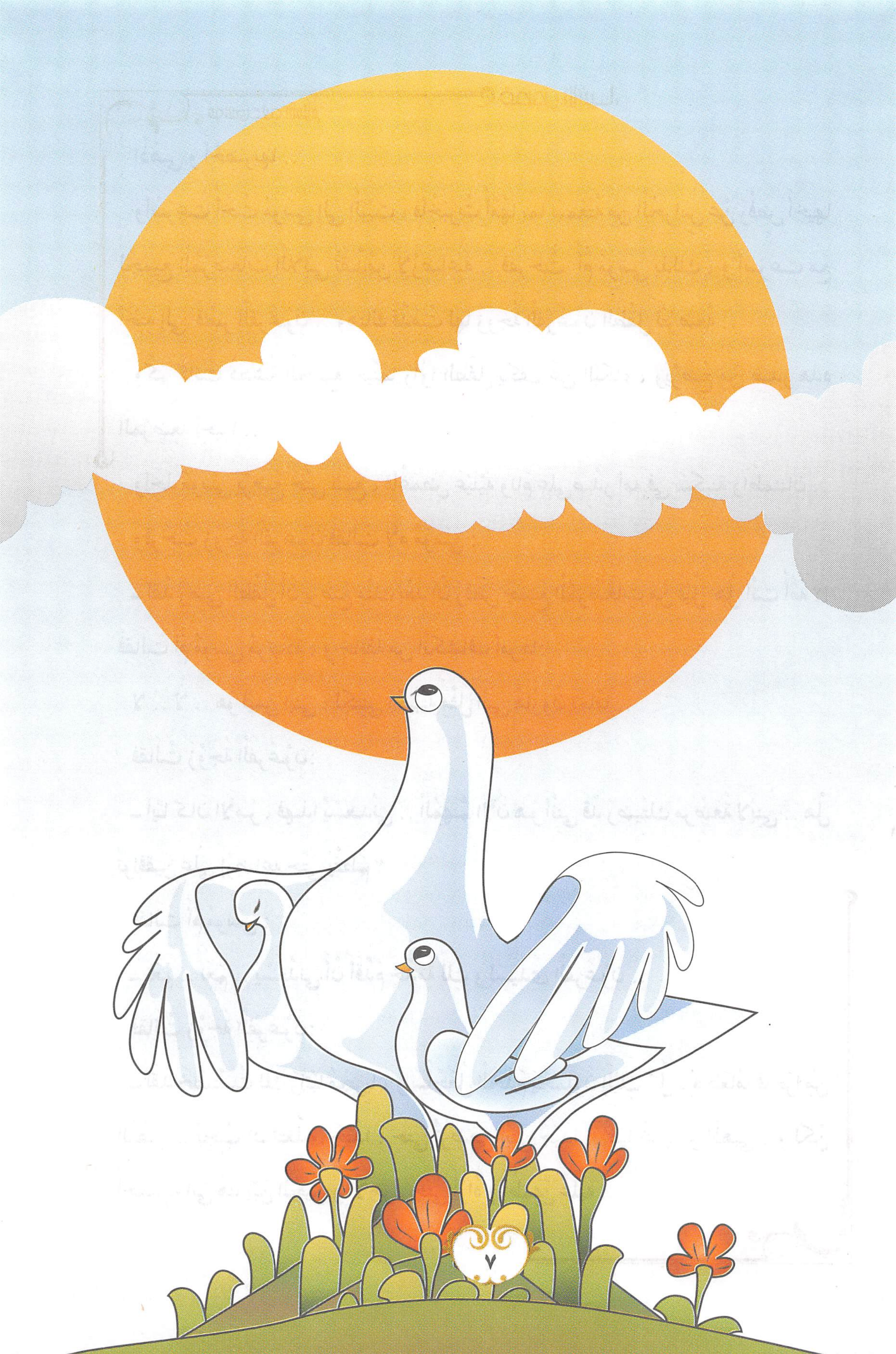
ـ أَنَا واثِقَةٌ أَنَّهُ سَيَقْبَل الرضاعَة مِنْها ، فَهِى سَيدَةٌ طَيِّبَةٌ..

فقال الْحارسُ :

ـ لقدْ رَصَدَتْ زَوْجةُ الْفِرعَوْنِ مُكافَأَةً لِمَنْ يَدُلُّها على مُرْضِعةٍ يوافِقُ الطفْلُ على الرَّضاعَةِ مِنها ..







اذْهَبِى و أَحْضِريها ..

وأَسْرعت أُخْتُ مُوسَى إِلى الْبيْت ، فأَخْبَرتْ أُمَّهَا بما سَمعَتْهُ مِنَ الْحُراسِ عنْ رَفْضِ أَخِيها لجَميعِ الْمُرْضِعاتِ اللَّائى تَقَدَّمْنَ لإِرْضاعِهِ .. ففرحَتْ أُمُّ مُوسَى بذلك ، و أسرعت معَ أُخْتِه إِلَى قَصْرِ الْفِرعَوْنِ .. وهناكَ قَدَّمَتْ لها زَوْجةُ الْفِرعَوْنِ الطفْل لتُرْضعَهُ ..

وكَمْ كَانتْ دَهْشَةُ الْجَميعِ حينَمَا رَأَوُا الطفْل يَكُفُّ عَنِ الْبُكاءِ ، ويَرْضَعُ مِنْ صَدْر هذه الْمُرْضِعة أَخيرًا ..

وأَخذ مُوسَى يَرْضعُ حتَّى شَبِعَ ، فأَغْمَض عَيْنَيْه ونامَ علىصَدْرِ أمه فى سَكينةٍ واطْمئنان ..

وفرِحَتْ زَوْجةُ الْفِرعَوْنِ فقالَتْ لأُم مُوسَى :

ـ لقَدْ رَضِىَ الطِّفْلُ أَنْ يرضعَ منْكِ بَعْدَ أَنْ رَفض جَميعَ الْمُرضِعَاتِ مِنْ قَبْلُ هلْ أَنْتِ أُمُّهُ ؟!

فَقالَتْ أُمُّ مُوسَى مُرتبكةً ، و خَائفةً مِنَ انْكشاف أَمرِها:

لا .. لا .. هوَ لَيْس ابْنى ، لكنَّنى أَحْبَبْتُهُ مِثْلَ ابْنى هَارُونَ تَمامًا ..

فقالَتْ زَوْجةُ الْفِرعَوْنِ:

ـ أيًّا كانَ الأَمرُ ، فهذا يُسْعدنُى .. الْمُهمُّ الآنَ هوَ أَنِّى قَدْ رَضيتُك مُرضِعَةً لابْنِى .. هلْ تُوافِقينَ على إِرْضاعِهِ حتَّى يُفْطَمَ ؟

فقالَتْ أُمُّ مُوسَى :

ـ نعَمْ .. نعَمْ .. يُسْعدُنى أَنْ أُقدِّمَ خِدمَةً لكِ و لِسَيدى الْفِرعَوْنِ ..

فقالَتْ زَوْجةُ الْفِرعَوْنِ:

ـ لقَدْ خَصَّصْتُ لكِ رَاتبًا مُجزيًا ، و سَأَجعَلُ الْخَدَمَ يَحْملُونَ إِلَيْكِ كلَّ يَوْمٍ طَعامًا فَاخِرًا مِنَ الْقَصْرِ .. يَجِبُ أَنْ تَتغذَّى جَيِّدًا ، حتى تُرضِعِى ابْنِى جَيِّدًا .. هيَّا خُذيهِ و اذْهَبِى ، و لكنْ أَحْضِريه إِلَيَّ هُنا بَيْنَ الْحِينِ و الآخر ، حتى أَرَاهُ و أَطْمئِنَّ عليه ..





فَحملَتْ أُمُّ مُوسَى طفلَهَا مُغَادِرةً الْقَصْرَ ، وفِى إِثرِهَا الْخَدَمُ يَحملُونَ لها الطَّعَامَ الْفَاخِرَ ، والْمَلَابس مِنْ أَجْل الطفل ، و الْهَدايَا مِنْ زَوْجة الْفِرعَوْنِ ..

وهكذَا ردَّ اللَّهُ مُوسَى إِلَى أُمِّهِ كَىْ تَطْمئِنَّ علَيْه ، و تُرْضعَهُ بنفْسها ، فَفَرِحَتْ به ، وعَلمَتْ أَنَّ وَعْدَ اللَّه ـ تعالَى ـ حَقٌّ ، فَقَدْ وَعَدَهَا أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْها ، وهَا هُوَ ذا وَعْدُهُ يَتحقَّقُ ..

و اسْتَمرَّت أُمُّ مُوسَى تُرْضِعُهُ ، حتَّى أَتَمَّتْ رَضَاعَتَهُ ، فَأَعادَتْهُ إِلى قَصْرِ الْفِرعَوْنِ ، كَىْ تَبْدأَ تَربِيتُهُ و تَعْليمُهُ على أَيْدِى مُرَبِّينَ و مُعَلمِينَ ..

و فرِحَتْ زَوْجَةُ الْفِرعَوْنِ بعودَةِ مُوسى إِلَيْهَا ، فأَكْرَمَتْهُ و قَدَّمَتْ لهُ الْهَدايا الثَّمِينَةَ ، ثمَّ قالَتْ لِخَدَمِها :

ـ هيَّا خُذُوا وَلَدِى إِلَى الْفِرعَوْنِ ، حتَّى يراهُ و يَسْعَدَ به ، و يُكْرِمَهُ بِهَدِيَّةٍ ثَمِينَةٍ ..

ـ ويُقالُ : إِنَّ الْخَدَمَ حملوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ودَخلوا بِهِ على الْفِرعَوْنِ ، فَوضَعُوهُ فِى حجْرِهِ ، فأَمْسَكَ مُوسى لحْيَةَ الْفِرعَوْنِ و جَذَبها إِلَيْه بقُوَّةٍ ..

ثم قال :

ـ عَدُوٌّ مِنَ أَعداءِ اللهِ .. سَوفَ يَكونُ مَصرعُكَ على يَدَىَّ ، و سَأَعْلو عَليك بإِذنِ اللهِ ..

فغَضِب الْفِرعَوْن ، وصَاحَ :

ـ أَحْضِروا الذَّبَّاحين لِيَذْبَحوا هذا الْغُلامَ ..

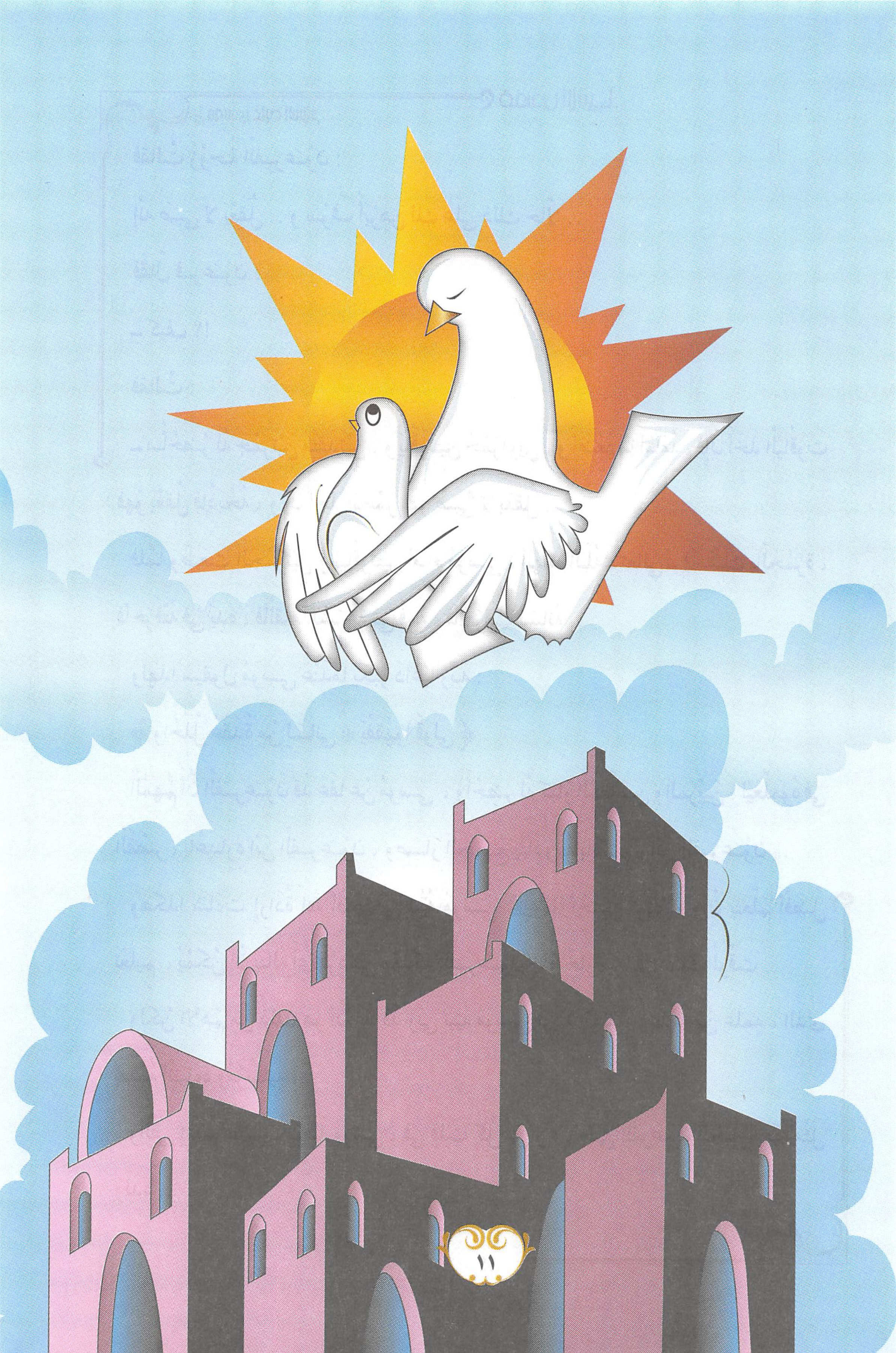
ففَزعَتْ زَوْجةُ الْفِرعَوْن ، وقالَتْ :

ـ ماذا بكَ يا فِرعَوْنُ ؟! أَلَمْ تَهَبْنى هذا الْغُلامَ مِنْ قَبْلُ ، ووعَدْتَنى بِعَدَم قَتْله أَوِ الْمَسَاسِ بِه ؟!

فقالَ الْفِرعَوْنُ :

ـ أَلَمْ تَسْمَعى ما يَقُولُهُ مِنْ أَنَّه سَوْفَ يَقْتُلُنى و يَعْلُو عَلَىَّ ؟!





فَقالَتْ زَوْجةُ الْفِرعَوْنِ :

إِنَّه صَبِى لا يَعْقِلُ .. و سَوْفَ أُبَرْهِن لكَ على ذلِك حَالًا ..

فقَالَ فِرعَوْنُ :

ـ كيف ؟!

فَقالتْ :

ـ سأُحْضِرُ لَهُ جَمْرَتَيْنِ مُتَّقِدَتَيْنِ ، و يَاقُوتتين حَمْرَاوَيْنِ ، و أَضَعُهما أَمَامَهُ ، فإِنْ أَخذَ الْيَاقُوت فهوَ يَعْقِلُ فاذْبَحْهُ ، و إِنْ أَخذَ الْجَمْرَ فهوَ صَبِىٌّ لا يَعْقِلُ ..

فلمَّا وضَعَتِ الْجَمْرَتَيْنِ واليَاقُوتتين أمَامَ مُوسى ، أَلْهَمَهُ اللَّهُ ـ تعالَى ـ فَأمسَكَ بالْجَمْرَةِ ، فأحرَقَتْهُ فى يَدِه ، فَأَلْقاهَا بِسُرْعةٍ فى فَمِهِ ، فأحْرَقَتْ لِسَانَهُ ..

ولهذا سيقول مُوسى عنْدَما يَكْبَرُ دَاعيًا ربَّهُ :

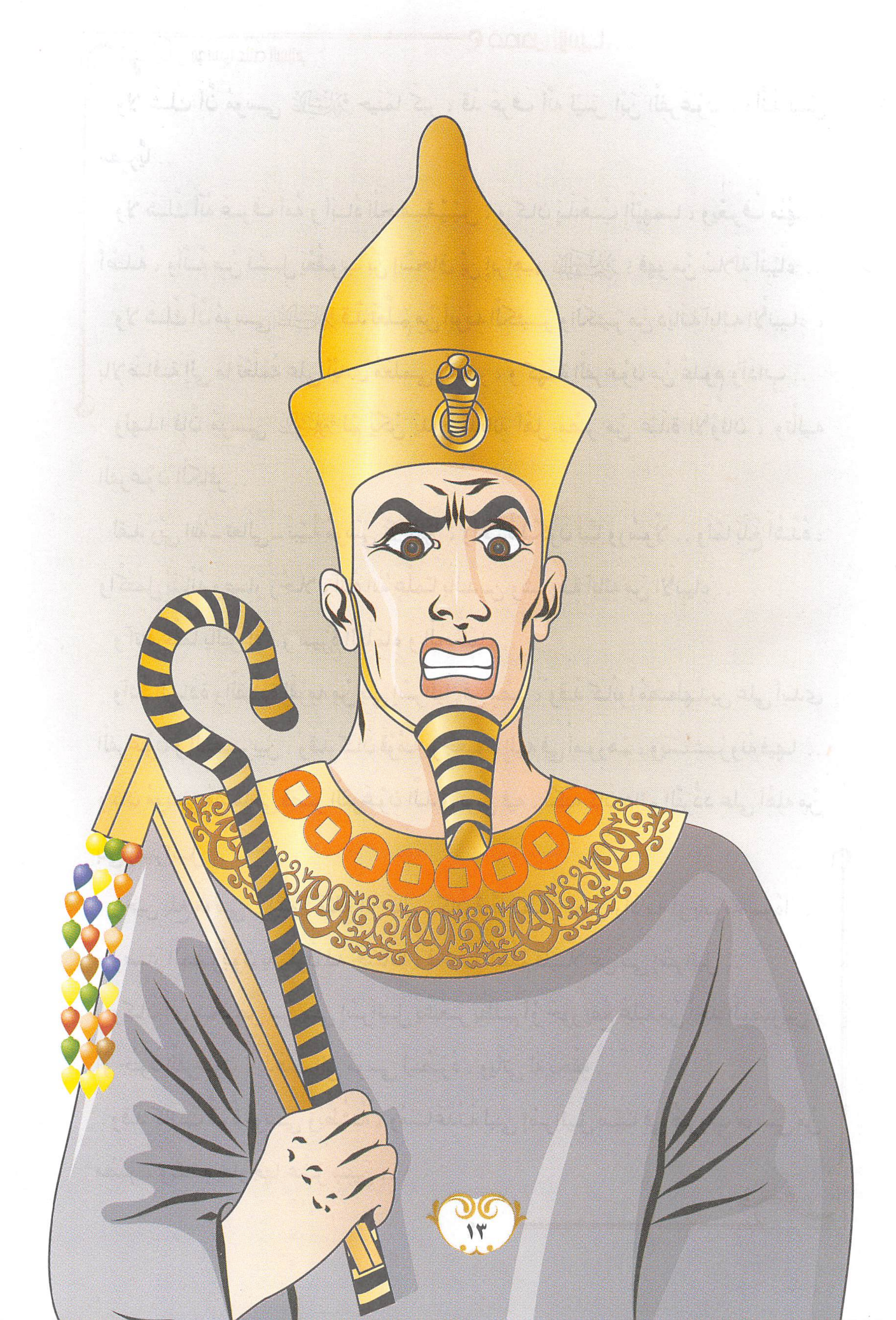
﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِى * يَفْقَهُوا قَولِى ﴾

الْمُهِمُّ أَنَّ الْفِرعَوْنَ قدْ عَفَا عنْ مُوسى ، وأَحْضر لَهُ كبَارَ الْمُعَلِّمين والمرَبِّينَ ؛ ليُعَلِّموُه فى الْقَصْرِ ، باعْتِبارِه ابْنَ الْفِرعَوْنِ ، وصارَ الْجميعُ ينادُونهُ باسْمِ « ابْنِ الفِرعَوْنِ » .

وهكَذا شَاءَت إِرادَةُ الله أَنْ يَتربَّى نَبِيُّهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْسَنَ تَرْبية ، وأَنْ يتعلَّمَ أَفْضَلَ تَعْليمٍ ، يُمْكِنُ أَنْ ينالَهُ أىُّ فَرْدٍ فى مَمْلَكَةِ الْفِرْعَوْنِ ، أَوْ خَارِجَها فى ذلك الْوَقْت ..

ولكنَّ الأَهَمَّ مِنْ ذلك هوَ أَنَّ الله قدْ رَبَّى نَبِيه مُوسى تَرْبِيةً إِلَهِيَّة ، وعلَّمَهُ مِنْ عِلمِهِ ، الذى يُعَلِّمُهُ أَنْبِياءَه ومُرْسَلِيه ..

وأَلقى اللهُ ـ تعالَى ـ محَبَّةَ مُوسى ، فى قَلْبِ كُلِّ مَنْ رآهُ ، حتى الْفِرعَوْن الْجَبَّار أَحبَّهُ مِثْلَ وَلَدِهِ ..



ولا شكَّ أنَّ موسى عليه السلام حينما كبر ، قدْ عَرفَ أنَّه ليْسَ ابْنَ الْفِرعَوْنِ ، وأنَّهُ ليْس مصريًّا ..

ولا شكَّ أنَّهُ عرف أمهُ و أبَاهُ الْحقيقيِّيْن ، و كان يَذْهَبُ إلَيْهما ، ويَعْرِفُ منْهُما أَصْلَهُ ، وأنَّهُ مِنْ نَسْلِ يَعْقُوب بن إسْحاقَ بْن إبراهِيم عليهم السلام ؛ فهو مِنْ سُلالَةِ أنْبيَاء ..

ولا شكَّ أنَّ مُوسى عليه السلام قدْ تعَلَّمَ مِنْ أبَوَيْهِ الْكثيرَ والْكَثيرَ مِنْ ديَانَةِ آبائه الأنبياءِ ، بالإضَافَةِ إلَى ما تعَلَّمَهُ على أيْدى مُعلمِى الْقَصرِ ، و كَهَنَةِ الْفِرعَوْن مِن عُلومٍ وآدابٍ ..

ولهذا فإنَّ موسى عليه السلام لمْ يَكُنْ يَدينُ بِديانَةِ أَهْلِ مِصْر مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثانِ ، وتأْليه الْفِرعَوْن الْكافِرِ ..

لقَدْ رَبَّى اللهُ - تعالَى - نبيَّهُ مُوسَى عليه السلام ، وأعَدَّهُ ليَكُونَ نبيًّا ورسُولاً .. ولَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ، واكْتَمَل بُنْيَانُهُ وصارَ رَجُلاً ، آتاهُ اللهُ عِلْمًا بالدينِ وشَرِيعَةِ آبائِهِ مِنَ الأَنبياءِ ..

و آتاهُ علْماً بالتَّوْرَاةِ ، و سيرَةِ الْعُلَماءِ و الْحُكَماءِ ..

وآتاهُ الريادَةَ والْقيادَةَ لِقَوْمِه مِنْ بنى إسْرائيلَ فى مِصْرَ ، وقَدْ كَانُوا مُضْطَهَدينَ علَى أيدى الْفرعَوْنِ و الْمصريين ، وقَدْ كانَ قَوْمُهُ يرجعونَ إليهِ فى أُمورهِمْ ، ويَسْتَشيرُونَهُ فيها ..

وكانَ مُوسى مُقِيمًا فى قَصْرِ الْفِرعَوْنِ الَّذى تَرَبَّى فِيه ، لَكنَّه كانَ دائِم التَّرَدُّد على أهْلِه مِنْ بَنِى إسْرائيلَ ..

وحينَ بلغَ مُوسى عليه السلام مَبْلَغَ الرِّجَالِ ، كانَ قَوِيًّا يَبْطِشُ بمنْ أرادَ بهِ أوْ بقَومه سوءًا ..

وصارَ الْمصْريُّونَ يعْملونَ لهُ حِسابًا ، فخَفَّ الظُّلْمُ قليلاً عَنْ بنى إسْرائيل ..

وكانَ أىُّ شَخْصٍ مِنْ بنِى إسْرائيلَ يَشْعُرُ بظُلمٍ أوْ جَورٍ يقَعُ عَليْه مِنْ أحَدِ الْمصْريين ، أَوْ جنودِ الْفرعَوْنِ ، يذْهَبُ إلَى مُوسَى لينصُرَهُ ، ويأْتى لَه بِحَقِّه ..

وقَدْ كانَتْ قُوَّةُ مُوسى وبَطْشُهُ ، ومُسَاعَدَتُهُ لِبنى إسْرائيلَ سَبَبًا فى هُرُوبِ مُوسى مِنْ مصْرَ ، وبَقائِهِ خارجها عَشْرَ سِنينَ ..

على أرض مدين

تَرَبَّى نبىُّ الله مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى قَصْـر فِرْعَـونِ مِصْـر ، حتى بلَغَ أَشُدَّهُ ، وأَدَّبهُ ربُّهُ بأَدَبِ الأَنْبياءِ ، فأَحْسَنَ تأْديبَهُ ، فآتاهُ حُكْمًا و عِلْمًا .. وقَدْ كَانَ مُوسَى نصيرًا قويًّا لأبناءِ قَومِهِ مِنْ بَنِى إِسْرائيلَ ضدَّ ظُلم الْمصْريينَ لَهم .. فالْمصْريُّونَ يَعْرفون أَنَّهُ ابْنُ الْفِرعَوْنِ ، ولذلكَ يَعْملونَ لَهُ أَلْفَ حِسَاب ويَخافُون بَطْشَهُ ..

وقَدْ كانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلاً قويًّا ، لكنَّهُ كانَ سريعَ الْغضَبِ و الانْدفَاعِ ، شَديدَ الْبَطْشِ فى لَحظَاتِ غَضَبِهِ ..

وقَدْ كانَ بَنُو إِسْرائيلَ يُهْرَعُونَ إِلَيْه كُلَّما وقَعَ عَلَيْهِم ظُلم مِنَ الْمصْريين ، ليَرْفَعَ الظُّلمَ عَنْهُمْ ..

و برغْمِ تربيتهِ فى قَصْرِ الْفِرعَوْنِ فقدْ كانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرفُ أنَّه لَيْس ابْنَ الْفِرعَوْنِ ، وإنَّما هُوَ ابْنُ واحِدٍ مِن بنى إِسْرائيلَ ، ولذلك فَهوَ نَصيرُهُمْ ..

وذاتَ يَوْمٍ خرجَ مُوسَى مِن قَصْرِ الْفِرعَوْنِ ، وسارَ فى شوَارِعِ الْمَدِينَةِ .. رُبَّما خرجَ للتَّنزُّه ، أَوْ لِقضاءِ أَمرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، فرأى مَنْظَرًا أثارَ غضَبَهُ ، و جعَلَ الدِّماءَ تتدفَّقُ فى عُرُوقِهِ بِقُوَّةٍ مِن الانْفِعَالِ .. فَمَاذا رَأَى ؟

رَأَى مُوسَى رَجُلَيْنِ يَتَشَاجَرانِ .. كانَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ مِصْريًّا مِنْ رَعَايا الْفِرعَوْنِ ، وكَانَ الرَّجُلُ الآخَرُ مِنْ بَنى إِسْرائيلَ ، قوم مُوسَى ..

و كَانَ الرَّجُلُ الْمصْرىُّ يَضْربُ الإِسْرائيلىَّ بقُوَّةٍ .. كانَ يُحاولُ قَتْلَهُ .. و رَأَى الرَّجُلُ الإِسْرائيلى مُوسَى ، فاسْتَغاثَ بهِ ، وناداهُ لِيُساعدَهُ على ضَرْبِ الْمصْرىِّ .. و تَقَدَّمَ مُوسَى مُحاوِلاً إِبعادَ الرَّجُل المصْرى عَنِ الإِسْرائيلى ، ودَفَعَهُ دَفْعَةً قَويَّةً ، فسَقطَ الْمصْرىُّ عَلَى الأَرْضِ قَتيلاً .. ماتَ الرَّجُلُ الْمصْرىُّ ، ولَمْ يَكُنْ مُوسَى يَقْصِدُ قَتْلَهُ ..

وقفَ مُوسى يَنْظُر إِلى الرَّجُلِ القَتيلِ على الأَرْضِ مَذْهُولاً ..ولَمَّا أَفاقَ مِنْ ذُهُولِه ، وذَهب عَنْهُ الْغَضَبُ ، نَدِم نَدمًا شَديدًا على تَسَرُّعه .. وبَطْشِه بِهِ و أَرْجَعَ ما حدَثَ إِلى أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ ، فقالَ :

﴿ هَذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾

و دعَا مُوسَى ربَّهُ قائلاً :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾

فَاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فغفَر لهُ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ أَنْ يَقْتُلَ الرَّجُلَ .. ومُنْذُ هذه اللَّحْظةِ قَرَّرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلا يَكونَ نَصِيرًا لِلْمُجْرِمينَ ..

ومَضَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَسْرَحِ الْجَرِيمة ، ومِنَ الْواضِح أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمصْريينَ لَمْ يشاهد مُوسى ، وهو يَصرَعُ الرَّجُلَ الْمصْرِيَّ .. و لذَلك أَخذَت الشُّرطَةُ تَبحثُ عَنِ الْقَاتِلِ لينالَ عِقَابَهُ على هذه الْجَريمة ..

ولَمْ يَعُدْ مُوسَى إِلى قَصْرِ الْفِرعَوْنِ مَرَّةً أُخرَى ، بَلْ بَاتَ لَيْلَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ خائِفٌ يَتَرَقَّبُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ فِي أَيَّةِ لَحْظَةٍ ، و تَقْديمَهُ إِلى الْفِرعَوْنِ ، لِينال جَزاءَهُ لأَنَّه قَتَلَ واحِدًا مِنْ أَتْباعِهِ ..

وفِي الْيَوْمِ التَّالي ، كانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَائِرًا في شَوارِعِ الْمَدِينَةِ ، فَرأَى نَفْسَ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ الذي نَادَاهُ لِنُصْرته بِالأَمْسِ ، مُشْتبِكًا في عِراكٍ مَعَ رجُلٍ مصْرِيٍّ آخرَ ..

ونَادَى الرَّجُلُ الإِسْرائيلي مُوسَى ، لِيُسَاعِدَهُ في ضَرْبِ الْمصْرِي ، فتدَخَّل مُوسَى لِفَض الاشْتبَاكِ بَيْنَهُما ، فَظَنَّ الرَّجُلُ الإِسْرائيلي أَنْ مُوسَى سَوْفَ يَبْطِشُ بِهِ و يَقْتُلُهُ ، ولِذلكَ خافَ و صَاحَ قائلاً :





ـ مَا هَذا يَا مُوسَى .. هلْ تُريدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتلْتَ رَجُلاً بِالأَمْسِ ؟! هلْ تُريدُ أَنْ تكون جَبَّارًا فى الأرْضِ ؟!

وعَرفَ الْمِصْريُّونَ الْحاضِرُونَ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتلُ الْمصْرِى بالأَمْسِ ، و الَّذى تَبْحثُ عنْهُ الشُّرْطَةُ ، فذَهَبوا وأَبْلغوا عَنْهُ ..

و سارَ مُوسَى عَليْهِ السَّلامُ فى شَوارعِ الْمَدِينَـةِ ، وَهُوَ خَائفًا يَترقَّبُ ..

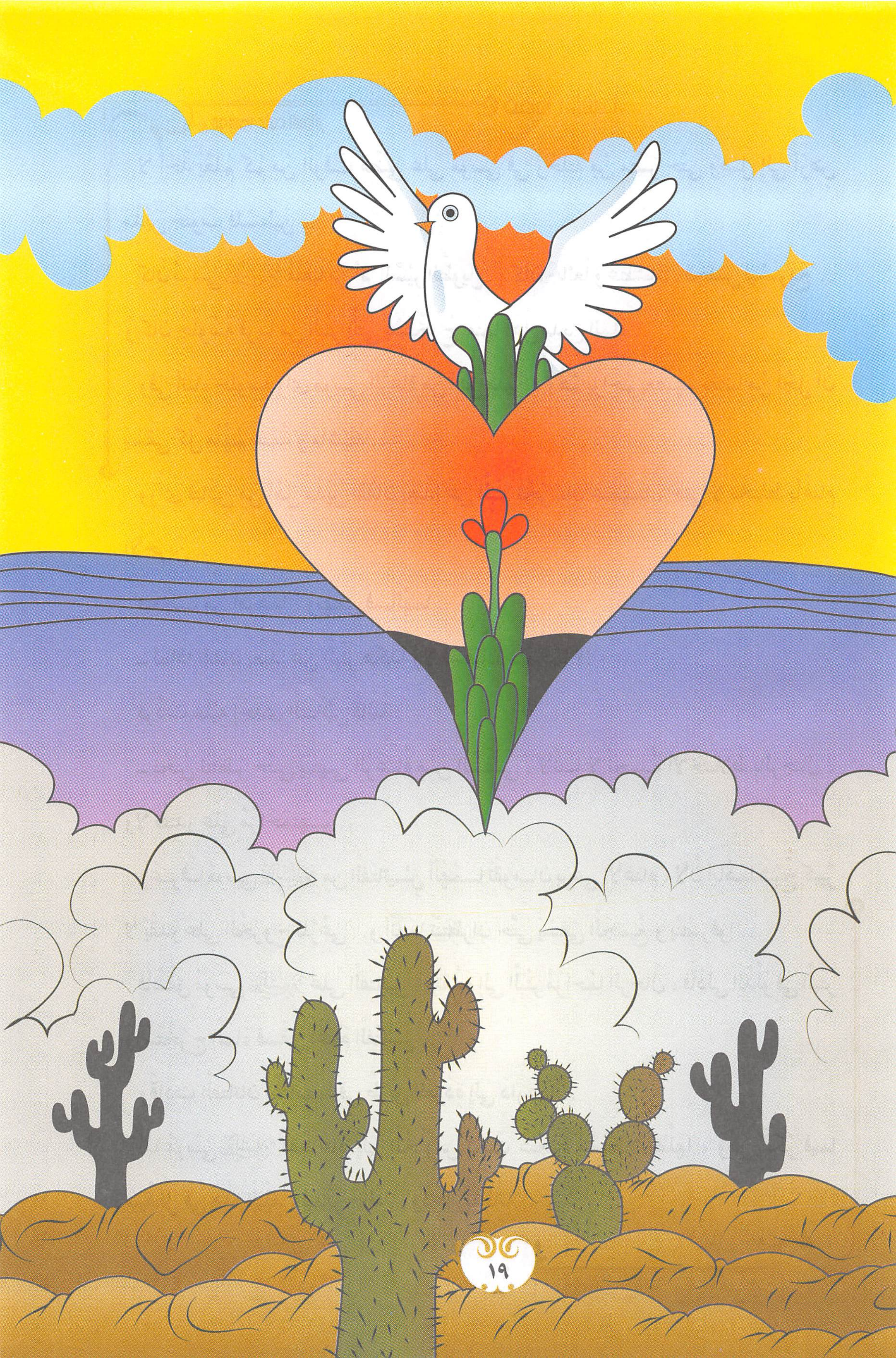
وفى ذلكَ الْوقْتِ علمَتِ الشُّرْطَةُ بأَنَّ مُوسَى هوَ الْقَاتلُ الَّذى يَبْحثونَ عَنْهُ للْقصَاصِ مِنْهُ ، وعَلِمَ فِرعَـوْنُ فأَصدَرَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ مُوسَى ..

و كانَ مِنْ بَيْنِ حَاشِية فِرعَـوْنَ رجُلٌ مُؤْمِنٌ ، لكنَّهُ كانَ يُخْفِى إِيمَانَهُ ، كما كانَتْ زَوْجَة الْفِرعَـوْنِ تُخفى إِيمَانَهَا ، خَوفاً مِنْ بَطْشِ الْفِرعَـوْنِ .. فلمّا عَلمَ ذلِكَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْفِرعَـوْنَ قَدْ أَصْدَرَ قرارَهُ بقَتْلِ مُوسَى ، أَسْرَعَ يَبْحَثُ عَنْ مُوسَى فى شَوارعِ الْمَدِينَـةِ حتى عَثَرَ عَلَيْهِ فى أَقْصَى الْمَدِينَـةِ ، وأَخْبرَهُ أَنَّ قرارَ قَتْلِه قَدْ صدَرَ ، و أَنَّهُمْ يَبْحثُونَ عَنْهُ ليَقْتُلُوهُ .. ونَصَحَ ذلكَ الرَّجُلُ مُوسَى بِسُرْعَةِ الْخُرُوجِ منَ الْمَدِينَةِ ، ومُغادَرتِها قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فى أَيْديهم ..

وأَطَاعَ مُوسَى أَمرَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِن ، فَغَادَرَ الْمَدِينَةَ خَائفاً ، و هوَ يَترقَّبُ أَنْ يُلْقِى رِجَالُ الْفِرعَونِ الْقَبْضَ عَلَيْه فى أَيَّةِ لَحْظَةٍ .. وفى أَثْنَاءِ ذلِك كَانَ يَدْعو اللَّه ، طَالِباً مِنْه أَنْ يُنَجِيهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالمينَ ..

و هَكذا مَضَى مُوسَى عَليْهِ السَّلامُ وحيدًا ، لا يَحملُ شَيْئاً مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا ، لكنَّ الإيمَانَ فى قَلْبِهِ كانَ هُوَ النُّور الَّذى يُضِىءُ لَهُ الطَّرِيقَ ..

خرجَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ ، وسارَ فى صَحْراءِ سَيْناءَ .. لَمْ يَكُنْ يَقْصدُ مكاناً مُحَدَّدًا ، لكنَّ هدَفَهُ كانَ الْفِرارَ مِن فِرْعَوْنَ وجُنُوده .. كانَتِ الصَّحْراءُ قاحِلَةً ، والرِّمَالُ تَمْتَدُّ حَوْلَه بلانهاية .. الشَّمْسُ حَارِقَةٌ ، و الطَّرِيقُ طَوِيلٌ ، و لا أَنِيس لمُوسَى فى رحلته إلا ذكر اللَّه ..



لا أَحَدَ يَعْلمُ كَمْ مِنَ الْوَقْتِ مَضَى على مُوسَى فى رِحْلَتِهِ مِنْ مِصْرَ حتَّى وَصلَ إلى أَرْضِ مَدْيَنَ جَنُوبَ فلسْطِينَ ..

كانَ مُوسَى عليه السلام مُتْعَباً مِنْ أَثرِ السَّيْرِ الطَّوِيلِ ، و كانَ جائِعاً و عَطْشَانَ ، فجَلس ليَسْتَرِيحَ ..

و كانَ جُلُوسُهُ قَرِيباً مِنَ الْبِئرِ الَّتى يَسْتَخْرِجُ منْها أَهْلُ مَدْيَنَ الْماءَ ..

وفِى أَثْنَاءِ جُلُوسِهِ رَأى مُوسَى الرُّعَاةَ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ ، وهُمْ يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسقِى كُلٌّ منْهُمْ غَنَمَهُ و مَاشِيَتَهُ ..

ورَأى فتَاتَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ تَقِفَانِ بَعيدًا عَنَ الْبِئرِ تَحْرُسانِ غَنمَهُمَا ، حتى لا تَخْتَلِط بأَغْنامِ الآخرِينَ ..

فَتعَجَّب مِنْ أمرِهما ، ونَهَض فَسَألَهُمَا :

ـ لِمَاذا تَقِفَانِ بعيدًا عَنِ الْبِئرِ هكَذا ولا تَسْقِيَانِ غَنَمَكُمَا ؟!

فَردَّت عليْهِ إِحْدَى الْفَتاتَيْنِ قَائِلَةً :

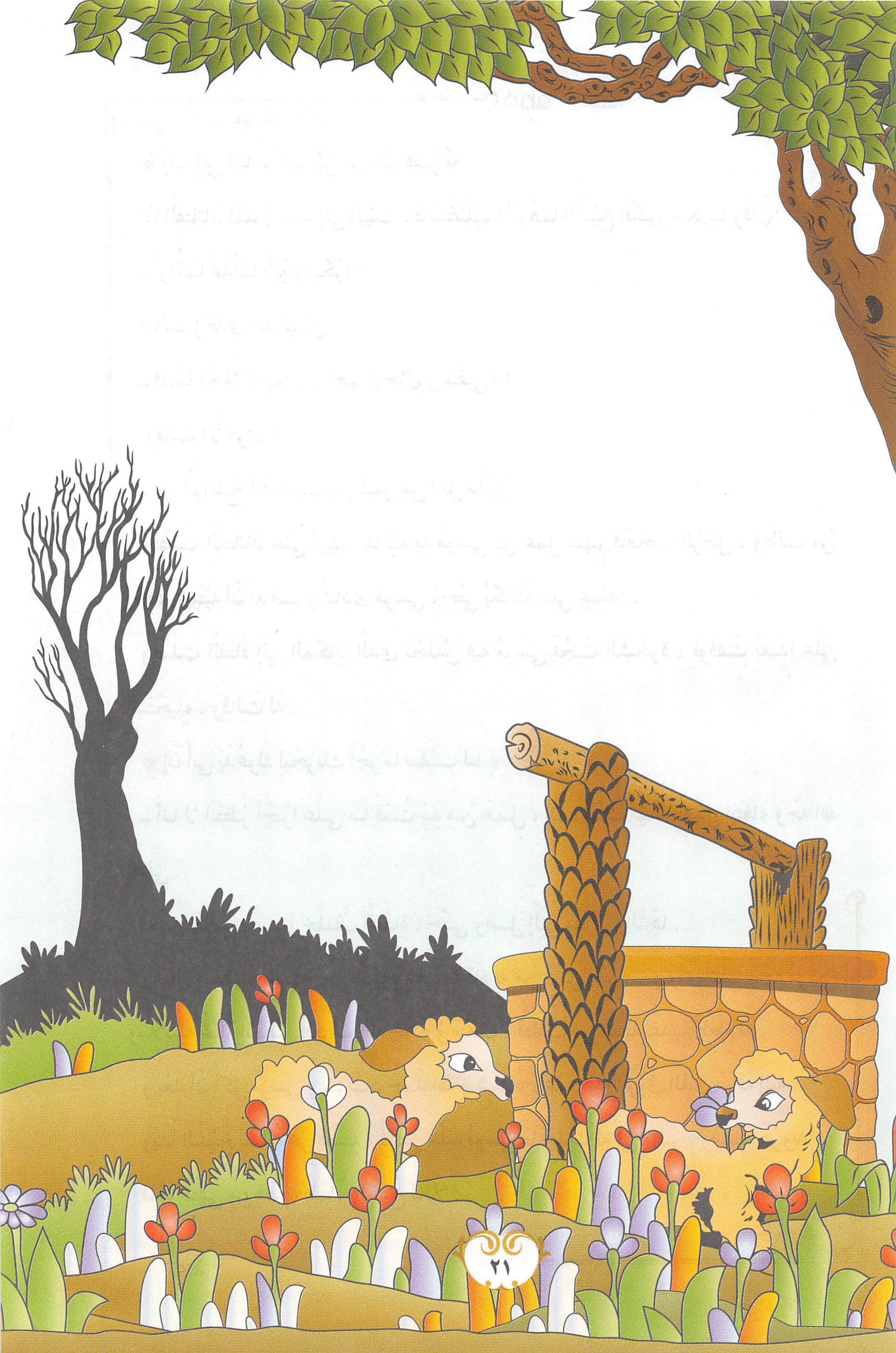
ـ نَحْنُ نَنْتَظِرُ حتَّى يَنْتَهِىَ الرُّعَاةُ مِنَ السَّقْى ، لأَنَّنا لا نُحِبُّ الاخْتِلاطَ بِالرجالِ ، ولا نَقْدِرُ علَى مُزاحَمَتِهِمْ ..

وعَرفَ مُوسَى عليه السلام مِن الْفَتاتَيْنِ أَنَّهُمَا تَقُومانِ برَعْىِ الأَغْنامِ ، لأَنَّ أبَاهُمَا شَيْخٌ كبيرٌ لا يَقْدِرعلى الْخُرُوجِ للرَّعْى .. و أَنَّهمَا تَنتظِرانِ حتَّى يَسْقِىَ الْجَمِيعُ و يَنْصرِفوا ..

فأشْفقَ مُوسَى عليه السلام على الْفتاتَيْنِ ، وتَقدَّمَ إِلى الْبِئرِ مُزَاحمًا الرجالَ ، فأَدْلَى الدَّلْوَ فى الْبِئرِ واسْتَخْرَجَ الْماءَ فسَقَى أَغْنامَ الْفَتاتَيْنِ ..

وقَادَت الْفَتاتان أَغْنامَهُما فى طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلى دَارِهِمَا ..

أَمَّا مُوسَى عليه السلام فَقدْ عادَ إِلى الْجُلوسِ تَحْتَ شَجَرةٍ مُسْتَظِلاًّ بظِلِّهَا ، وهُوَ يُفكرُ فيما سَيَفْعَلُ فى هذا الْبَلَدِ ، لِيدَبِّر حَالَهُ .. ودَعَا رَبَّهُ قائلاً :



﴿ رَب إِنى لِمَا أَنزَلْت إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

أَمَّا الْفَتاتان فَقَدْ وَصَلتَا إِلى الْبَيْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُما أَبُوهُما الشَّيْخُ الْكَبِير متعَجِّباً وقَالَ:

ـ أَرَاكُما عُدْتُما الْيَوْمَ مبكرًا !

فقالَتْ إِحْدَى الْفتاتَيـْـنِ :

ـ قابَلْنا رَجُلاً كَرِيماً ، فزَاحَمَ الرجالَ و سَقَى لَنَا ..

وقَالَتِ الأُخْرَى :

ـ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ غريبٌ ، و لَيْس مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ ..

وقَصَّت الْفَتاتانِ على أَبيهمَا ما قامَ بِهِ مُوسَى مِنْ عَملٍ شَهْمٍ فتَعَجَّب الرَّجُلُ ، وطَلَبَ مِنْ إِحْدَى ابْنَتَيْه أَنْ تَذْهَبَ و تُنادِىَ مُوسَى ، حتَّى يُكافِئَهُ عَلَى عَمَلِه ..

وَصلَتِ الْفتاةُ إِلَى الْمَكانِ الَّذى يَجْلسُ فِيه مُوسَى تَحْتَ الشَّجَرَة ، فوقَفَتْ بَعيدًا على اسْتحْياءٍ ، وقالَتْ لَهُ :

﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْر مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

ـ أَنا لا أَنْتظِرُ أَجْرًا علَى مَا قُمْتُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ ، إِنَّما قُمْتُ بهذَا الْعمَلِ ابتْغاءَ وَجْه الله تعالَى ..

لكنَّه نهَضَ و سارَ خلْفَ الْفَتاةِ ، حتَّى وصلَ إِلَى مَنْزِلِ والدِهَا ..

وهناكَ اسْتَقْبَلَهُ الشَّيْخُ ، و شَكَرَهُ على مَا قَام به مِنْ عَملٍ طَيِّبٍ ..و رَأى علَى وَجْه مُوسَى ومَلابِسه غُبارَ السَّفرِ ، فعَرفَ أَنَّهُ جائعٌ و مُتْعَبٌ ، فطلَبَ مِنْ ابْنَتَيْه تَقْديمَ طعَامٍ لَهُ ..

و بعْدَ أَنْ أَكل مُوسَى و شَرِبَ ، حَمِدَ الله و شَكَرَهُ ، علَى هذا الرزْقِ الَّذى سَاقَهُ إِلَيْه ..

وبَدأَ الشَّيخُ يَسْأَلُهُ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَقصَّ عَلَيْه مُوسَى مَا حَدثَ لهُ فى مِصْرَ ، وسَبَبَ هُرُوبه ..

فَلمَّا انْتَهى مِنْ قِصَّته طَمْأَنَهُ الشَّيْخُ قَائلاً :

﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

وهَمَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالانْصِرافِ ، فَقالَتْ إحْدَى الْفَتاتَيْن لأَبيهَا :

ـ اسْتَأْجِرْهُ لِيَعْمَلَ عِنْدَكَ يا أَبِى ، فَهُوَ خَيْرُ منْ تَسْتَأْجِرُهُ ، لأَنَّهُ قَوىٌّ و سيَكُونُ قادِرًا علَى رَعْيِ الأَغْنامِ ، وهوَ في نَفْسِ الْوَقْتِ أَمِينٌ ..

فَقَالَ الشَّيْخُ لمُوسَى :

ـ أَرْغَبُ فى أَنْ أُزَوِّجَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ ، فمَا قَوْلُك ؟

فَقَالَ مُوسَى :

ـ كُنت أَوَدُّ ذلكَ ، ولَكِنْ لَيْسَ مَعِى نُقُودٌ لأَدْفَعَ لهَا مَهْرًا ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

ـ سأَسْتَأْجركَ للْعَمَلِ عِنْدِى فى مُقَابِلِ مَهْرِهَا ثَمانِى سَنَواتٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَهَا إِلَى عَشْرِ سَنَواتٍ ، سيَكُونُ ذلكَ كَرَماً منْكَ .. و لا أُرِيدُ أَنْ أُتْعِبَكَ و سَوْف تجدُنى ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ من الصَّالِحينَ ..

فَوافَقَ مُوسَى قائلاً :

ـ لا بَأْس .. وأُشْهِدُ اللهَ علَى هذَا الاتِّفَاقِ بيْنِى وَبَيْنَكَ ، سَواء قَضَيْتُ فى الْعَمَلِ عِندَكَ ثَمانِى سَنَواتٍ أَوْ عَشْرَ سَنَواتٍ ، فأَنَا حُرٌّ بَعْدَهَا فى التَّوَجُّه بزَوْجَتى حَيْثُ أشاءُ ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

ـ أُشْهِدُ اللهَ علَى ذَلِكَ ..

وهكَذا تزَوَّجَ مُوسَى إِحْدَى ابْنَتَيِ الشَّيْخِ ، وعَاشَ فى أَرْضِ مَدْيَنَ يَرْعَى لَهُ الأَغْنامَ .



الوادى المقدس

تزوَّجَ نبىُّ اللَّه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إحْدى ابْنَتي الشَّيْخ الْكَبيرِ ، فى مُقابِلِ أنْ يَعْمَلَ لديه ثَمانى سَنواتٍ أو عَشْرِ سَنواتٍ ، و عَاشَ مُوسَى آمِناً فى أَرْضِ مَدْيَنَ ، يَخْدُمُ الشَّيْخَ ، ويَرْعَى له أَغْنامُه ، حتَّى أَتمَّ عَشْرَ سَنوات ..

فقَرَّرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يُغادِر مَدْيَنَ عائدًا إلَى مِصْرَ ، خاصَّةً و أَنَّ عُقُوبَتَهُ عَنِ الْقَتْلِ قدْ سَقَطَتْ عَنْهُ بِمُضِى الْمُدَّةِ ..

تَجهَّزَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ وزَوْجَتُهُ للرَّحيلِ ، واسْتَأْذَنَ الشَّيْخَ ، ثم غادَرَ مَدْيَنَ ..

لَقدْ جَاءَ مَدْيَنَ وَحيدًا خائفاً ، وها هُوَ ذا يَخْرُجُ منْها مع زَوْجَتِه ، وقدْ زايلَهُ الْخوْفُ ..

سَارَ مُوسَى مَعَ زَوْجَتِهِ فى الصَّحْراءِ قَاصِدًا مِصْرَ ..

كانَ الْوَقْتُ شِتاءً .. و أَمْسَى على مُوسَى وزَوْجَتُهُ اللَّيْلُ .. لَمْ يكُنْ هناكَ قَمَرٌ يُضِىء ، لِيُنير لَهُما الطَّريقَ ..

ولَمْ يَعُدْ مُوسَى قَادِرًا علَى تَلَمُّسِ طَرِيقِه فى الصَّحْراءِ وَسْطَ الظَّلامِ .. فَحَاوَلَ أَنْ يُشْعِلَ نارًا ، لِيَهْتَدِىَ بضَوْئِهَا إِلَى طَرِيقِه ، لكنَّهُ فشَلَ .. فقَدِ اشْتَدَّ الْبَرْدُ وعَصَفَتِ الرياحُ ، و أَصْبحَ مِنَ الْمُحالِ عَلَيْهِ أنْ يُشْعِلَ نارًا ..

وقَفَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حائرًا .. ماذا يَفْعَلُ هوَ وزَوْجَتُهُ ، لكَىْ يَتَّقِيَا الْبَرْدَ و الظَّلامَ ؟!

ولَمْ تَطُلْ حَيْرَتُهُ كثيرًا ، فقدْ رَأَى نَارًا مشْتَعِلَةً فى قَلْبِ الصَّحْراءِ ، فَفَرِحَ بها ..

وقالَ مُوسَى لِزَوْجَتِهِ :

ـ لقدْ رَأَيْتُ نَارًا مشْتَعِلَةً على الْبُعْد .. انْتَظِرِينِى هُنا ، حتَّى أَذْهَبَ إِلَى هُناكَ ، و أُحْضِر بَعْضًا مِنْ هِذه النَّارِ لنَتَدَفَّأَ بها ، ولَعَلى أَجِد أَحَدًا بِجوارِ النَّارِ ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الطَّريقِ الَّذى ضَلَلْناهُ ، رُبَّما دَلَّنَا عَلَيْهِ ..



وترك مُوسَى زَوْجَتَهُ مُتَوَجهًا إِلَى النَّارِ التى لَمْ يَرَها أَحدٌ غَيْرُهُ ..

وَصَـلَ مُوسَـى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى وادٍ يُسَمَّـى (وادِى طُوى) واقْتَرَبَ مِنَ النَّارِ ، ولِشِدَّة دَهْشَتِهِ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا بِجوارِها .. لَمْ يَكُنْ هُناكَ بَشَرٌ ، فَمَنِ الَّذى أَشْعَلَ هذه النَّارَ إِذَنْ ؟!

وَلَمْ يَكَدْ مُوسَـى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمُدُّ يَديهِ إِلَى النَّارِ مُتَلَمِّسًا دفْأَهَـا ، حتَّـى سمِـعَ صَوْتـًا جَليـلاً مَهِيبًا يُنادى :

﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَهَا وسُبْحَانَ اللهِ رَب الْعَالمِينَ ﴾.

تَعَجَّب مُوسَى مَنْ جَلالِ الصَّوْتِ الْعَظِيم ، الَّذى لا يُشْبِهُ أَصْواتَ الْبَشَرِ ، وراحَ يَبْحَثُ حَوْلَهُ عَنْ مَصْدرِ الصَّوْتِ ، فلَمْ يَجِدْ أَحَدًا .. كانَ الصَّوْت يَهُزُّ الْكَوْنَ هَزًّا ، فارْتَجف مُوسَى مِنَ الْخَوْفِ و الْفَزَعِ ..

وَبدَأَتِ النَّـار تَتَحوَّلُ إِلَى نُـور شَـديـدٍ ، لـدَرَجَةِ أَنَّ مُوسـى خَـافَ على عَيْنَيْـهِ مِـنْ شِـدَّةِ الضَّوْءِ ، فـراحَ يُخْفيهما بيَدَيْه ..

وتكرَّرَ الصَّوْت الْمَهِيبُ الْجَليلُ مُنادِياً مُوسَى قائلاً :

﴿ يَا مُوسـى إِنِى أَنَـا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالْوَادِ الْمُقدَّسِ طُوًى ﴾

وَعَرَفَ مُوسَى أَنَّ الصَّوْتَ الَّذى يُنادِيهِ هُوَ صَوْتُ رَب الْعِزَّة سُبْحَانَهُ .. إِنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ يُكَلِّمُهُ مُبَاشَرةً ، و دُونَ وَحيٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ ، كَمَا كَانَ مَعَ الأَنْبِياءِ السَّابِقِينَ ..

ارْتَجَفَ مُوسَى خشُوعًا لرَب الْعِزَّةِ ، ونَفَّذ الأَمْرَ الإِلَهِيَّ ، فَخَلَعَ نَعْلَيْه ، ووَقَفَ يُنْصِتُ إِلَى رَب الْعِزَّة و هو يُلْقِى إِلَيْه بوَحْيِهِ ..

فَقالَ رَبَّ الْعِزَّة سُبْحانَهُ :

﴿ وأَنَا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِى أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾



و كانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْمِلُ بِيَدِهِ اليُمْنَى عَصًا ، وهى الْعَصَا الَّتى كانَ يَسْتخْدِمُهَا ، حِينما كانَ يَرْعَى الأَغْنَامَ لَدَى الشَّيْخِ الصَّالِحِ ، فخاطَبَهُ رَب الْعِزَّة قائِلاً :

﴿ و مَاتِلْكَ بِيمِينِك يَا مُوسَى ﴾ .

فَأَجَابَهُ مُوسَى قَائِلاً :

﴿ هِىَ عَصَاىَ أَتوَكَّأُ عَلَيْهَا و أَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِى فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾.

فَأَمَرَ اللهُ مُوسَى أَنْ يُلْقِى بِالْعَصَا عَلَى الأَرْضِ ، فَأَطَاعَ مُوسَى أَمْرَ رَبه و أَلْقَى بِالْعَصَا .. رأى مُوسَى الْعَصَا ، وهى تتَحَوَّلُ فى لَحظاتٍ إِلَى حَيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وراحتْ تَسْعَى علَى الأَرْضِ ، مُقْتَرِبَةً مِنْهُ .. خافَ مُوسَى مِنَ الْحَيَّةِ ، وهَمَّ بأَنْ يَجْرِىَ مُبْتَعِدًا عَنِ الْمَكَانِ لِيَنْجُوَ بنَفْسِهِ ، حتَّى لا تَلْتَهِمَهُ الْحَيَّةُ ..

لكنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ طَمْأَنَهُ بِقَوْلِه :

﴿ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنى لايَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾.

فَعَادَ مُوسَى يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وهىَ تتَحرَّكُ عَلَى الأَرْضِ ، فَخَاطَبَهُ رَب الْعِزَّةِ سُبْحانَهُ قَائِلاً :

﴿ خُذْهَا وَ لاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾

ونفَّذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الأَمْرَ الإِلَهِىَّ .. مَدَّ يَدَهُ ولَمَسَ الْحَيَّةَ ، ولَمْ يَكَدْ يَلْمَسُهَا ، حَتَّى تَحوَّلَتْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى عَصاً .. نَفْسِ الْعَصَا الَّتى اعْتَادَ مُوسَى أَنْ يَحْمِلَهَا .. وتِلْك مُعْجِزَةٌ أَيَّدَ اللَّهُ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وخاطَبَ رَب الْعِزَّةِ مُوسَى ، يَأْمُرُه أَنْ يَضَعَ يَدَهُ فى جَيْبِهِ ، ثُمَّ يُخْرِجَهَا .. فَلَمَّا وضَعَ مُوسَى يَدَهُ فى جَيْبِهِ و أَخْرجَهَا ، وجَدَها بَيْضَاءَ مُضِيئَةً ، تتَلأْلأُ بِالضِيَاءِ ..

فتعَجَّبَ مُوسَى مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ ـ تعالَى ـ وتِلْكَ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى ..





وأمر رب العزة موسى أن يضع يده على صدره ، وأن يضمها عليه بقوة ، حتى يذهب عنه الخوف و الروع ، اللذان انتاباه منذ مجيئه إلى الوادى المقدس طوى ..

فلمَّا فعل موسى ذلك ذهب عنه الخوف و الفزع ، وعاد إليه الاطمئنان و السكينة ..

فأمر المولى سبحانه نبيَّه موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون موسى ، و أن يدعوه إلى الإيمان بالله و باليوم الآخر ، و يطلب منه إطلاق سراح بنى إسرائيل فأبدى موسى خوفه من فرعون وقومه ، وقال : إنه قتل منهم رجلاً ، ولذلك فهو يخاف أن يوقعوا عليه القصاص ، و يقتلوه ..

وطلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون ، حتى يساندهُ فى إبلاغ دعوته ، فهو أبلغ منه فى الحديث ، وأفصح منه لسانًا ..

فأجابه الله ـ تعالى ـ إلى ما طلب ، و طمأنه إلى أنه ـ سبحانه ـ سيكون معه و أخيه هارون يسمع و يرى ، و يؤيدهما بالمعجزات .. و أن فرعون وقومه بكل جبروتهم وقوتهم ، لن يستطيعوا أن يمسوهما بسوء ..

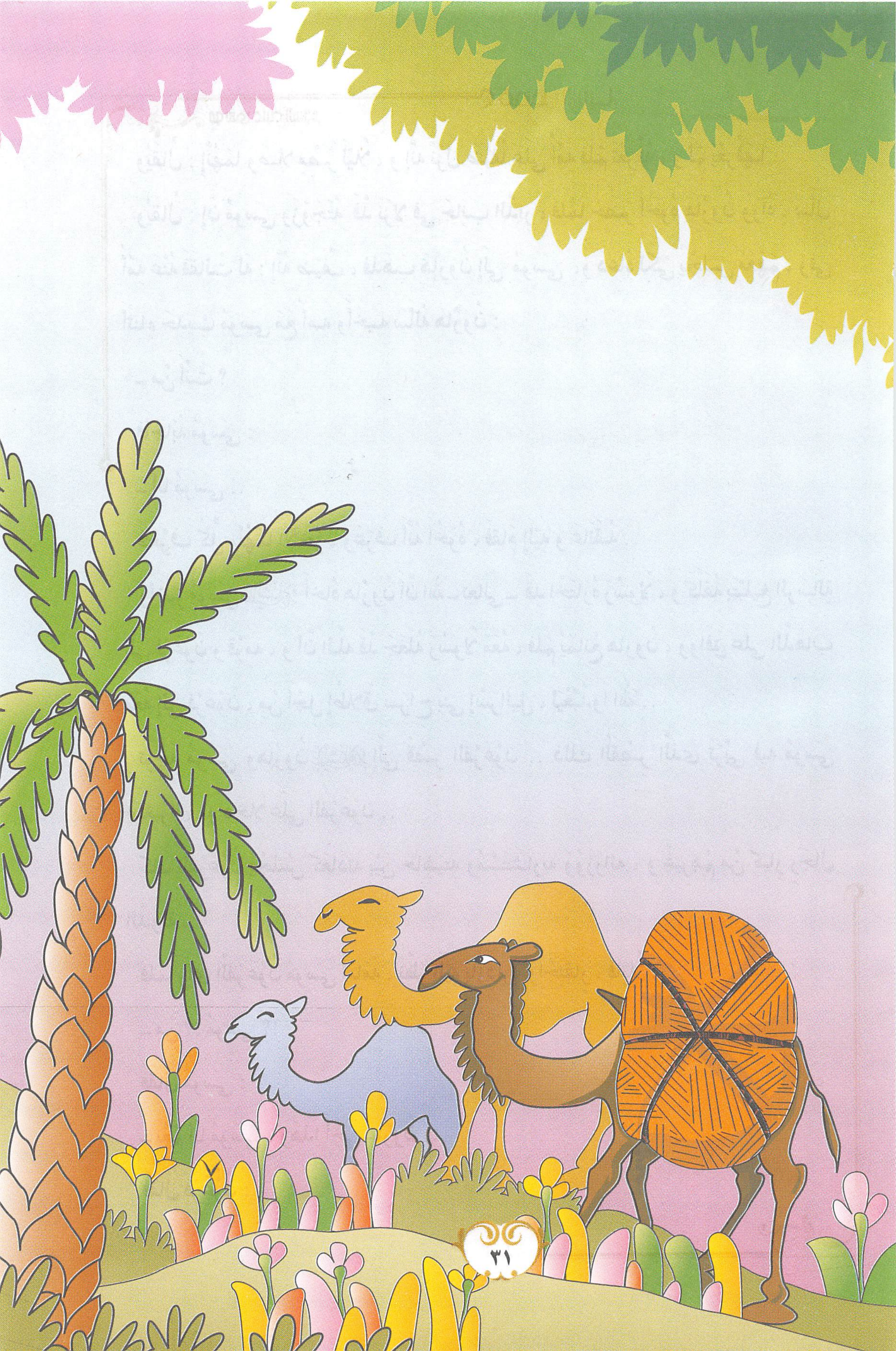
فدعا موسى عليه السلام ربه ، طالباً منه أن يشرح له صدره ، وأن ييسر له أمره فى إبلاغ رسالته ، وأن يحلل عقدة لسانه ، حتى يفهم فرعون و قومه قوله ..

فأجاب الله ـ تعالى ـ دعاء نبيه موسى عليه السلام ..

وهكذا حمَّل الله ـ تعالى ـ موسى عليه السلام أمانة تبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه ، وأن يطلب منه إطلاق سراح بنى إسرائيل ..

فعاد موسى عليه السلام إلى حيث ترك زوجته فى الصحراء ، و قد اهتدى بهدى الله ، و استضاء بنوره سبحانه ..

و توجه مع زوجته إلى مصر ، وبعد رحلة من المعاناة و مشاق الطريق وصلا إلى هناك ..



ويُقَالُ : إنَّهمَا وصَلا مِصرَ لَيْلاً ، و إِنَّه نزَلَ ضَيْفاً على أُمِّهِ فلَمْ تعْرِفْهُ ، و لَمْ يَعْرِفْهَا ..

ويُقَالُ : إنَّ مُوسَى وزَوْجَتَهُ قَدْ نَزَلا فى جَانِبِ الدَّارِ ، فلمَّا حضَرَ أَخُوهُ هارُونُ ورآهُ ، سأَلَ أُمَّهُ عَنْهُ فقَالتْ لَهَ : إِنَّهُ ضَيْفٌ ، فذهَبَ هارونُ إِلَى مُوسَى ،و دَعاهُ لكَىْ يجْلس مَعَهَمْ ، وفى أَثْناءِ حَدِيثِ مُوسَى مَعَ أُمهِ وأَخِيهِ سأَلَهُ هَارُونُ :

ـ منْ أَنْتَ ؟

فأَجابَهُ مُوسَى :

ـ أنا مُوسَى ..

فَتعَرَّفَ كُلٌّ منْهُمَا الآخرَ ، وعَرَفَ أَنَّهُ أَخُوهُ ، فَقامَ إِلَيْهِ و عَانَقَهُ ..

وأَخبرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخاهُ هارُونَ أَنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قَدِ اخْتارَهُ رَسُولاً ، و كَلَّفَهُ بِتبْليغِ الرسَالَةِ إِلَى فرْعَوْنَ و قَوْمه ، و أَنَّ اللَّه قَدْ جعَلَهُ رَسُولاً مَعَهُ ، فلَمْ يُمانِعْ هارونُ ، ووَافقَ على الذَّهابِ مَعَهُ إِلَى فرْعَوْنَ ، مِنْ أَجْلِ إِطْلاقَ سَرَاحِ بَنى إِسْرائيل ، ليَعْبُدُوا اللهَ ..

توجَّهَ مُوسَى وهارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى قَصْرِ الفرْعَوْنِ .. ذلك الْقَصْرِ الَّذى تربَّى فيه مُوسَى صَغيرًا .. و دَخلا على الفرْعَوْن ..

كانَ الفرْعَوْنُ يَجْلسُ كعَادَته بيْنَ حاشِيَتهِ ومُسْتَشارِيه ووُزرائِه ، و غيرِهمْ مِنْ كِبارِ رِجالِ الدَّوْلَة ..

فَلمَّا رَأى الْفرْعَوْنُ موسَى أَمَامَهُ ، نظَرَ إِلَيْهِ بازْدِراءٍ واحْتِقارٍ ، قائِلاً :

ـ منْ ؟! مُوسَى ؟!

فَقالَ مُوسَى :

ـ نَعَمْ أَنَا مُوسَى ، وهَذَا أَخِي هارُونُ ..

فَقالَ فرْعَوْنُ :

ـ لِماذا عُدْتَ بَعْدَ أَنْ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ، وهَرَبْتَ كُلَّ هَـذهِ السَّنواتِ الطَّوِيلَةِ ؟!

فَقالَ مُوسَى :

ـ جئْتُ لأَدْعُوكَ إِلَى الإِيمانِ بِاللهِ ..

فَقالَ فِرْعَوْنُ مُتهكمًا :

ـ ومَنْ هُوَ اللَّهُ الَّذى تَدْعُونِى إِلَيْـهِ ؟! هَلْ تَعْـرِفُ لَكَ إِلَهًا غَيْرِى يا مُوسَى ؟!

فَقالَ مُوسَى :

ـ اللهُ هو رَبِّى و رَبُّكَ .. هو الَّذى خَلَقَنِى و خَلَقَكَ ، وخَلَق كُلَّ الْبَشَرِ والْمَخْلُوقاتِ ، وكُلَّ شَىْءٍ تَراهُ فى الْكَوْنِ الْفَسِيحِ ..

و أَخذَ مُوسَى عليه السلام يُحدثُ فِرْعَوْنَ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ ، و عَنْ رَحْمَتِـهِ .. وكَيْـفَ أَنَّهُ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ لِمَنْ آمَنَ بـه و عبده ، وَأَنَّهُ جَبَّارٌ شَدِيدُ الْبَطْش لِمَنْ عَصاهُ وكَفَرَ بِهِ ، وخالَفَ أَمْرَهُ ..

وَقالَ مُوسَى لفِرْعَوْنَ أَنَّـهُ يَضْمَـنُ لَـهُ أَنْ يَعْفُوَ اللهُ ـ تعالى ـ عَنْ ذُنُوبِهِ و يَغْفِر لَـهُ سيئاتِـه ، ويُدْخِلَهُ الْجَنَّـةَ لَوْ آمنَ .. فَإِنْ ظَلَّ على كُفْرِهِ وعِنَادِهِ ، و طُغْيانِـهِ و جَبروتِـهِ ، فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُ عَذاباً شَدِيدًا فى الدُّنْيا وفى الآخِرَةِ ..

فَمَاذا كانَ جَوابُ فِرْعَوْنُ عَلَى دَعْوَةِ مُوسَى لَـهُ ؟!

حوار مع فرعون

ذهبَ مُوسَى وهارُونُ عليهما السلام بِرسالَـةِ اللهِ إِلَى فِرْعَوْنِ مِصْـرَ .. فدعاه مُوسَى إِلَى الإِيمانِ باللهِ ، وَطَلَبَ مِنْـهُ أَنْ يُطْلِق سَـرَاحَ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَيَسْمَحَ لَهُمْ بالذَّهابِ مَعَهُ ، لِيَعُودُوا إِلَى فِلِسْطِينَ ، ويَعْبُدُوا اللَّه ..

فنَظَرَ إِلَيْـهِ الفرْعَوْنُ سَاخرًا ، وقَالَ :



ـ هلْ نَسِيتَ يا مُوسَى أَنَّنـا الْتَقَطْناكَ مِنَ النيلِ صَغيرًا ، و تَرَبَّيْـتَ فى قصـرِى ، فأَكَلْتَ مِنْ خَيْرِى ؟!

أَمْ نَسِيتَ أَنَّكَ قَتَلْتَ واحِدًا مِنْ أَتْباعى ، وفَرَرْتَ هَاربًا ، دُونَ أَنْ تُوقِّع عليْكَ الْعُقُـوبَةُ التـى تَسْتَحِقُّهـا ، وهـى الْقَتْلُ ؟! أَلَمْ تكُـنْ كافـرًا يا مُوسى حِينمَا ارْتَكَبْـتَ جَرِيمَتكَ وهَرَبْتَ ؟ فلِمـاذا تأْتـى الآنَ و تَدَّعـى أَنَّكَ رَسُولٌ ؟!

فَقَـالَ لَـهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّـهُ فَرَّ مِـنْ مِصْـرَ خَوْفًـا مِـنْ بَطْشِهِـم بـه علَى جَرِيمَـةٍ لَمْ يَقْصِدِ ارْتِكَابَـها و قَدْ غفـرَ اللّهُ لَهُ ، ومنَّ عليْـهِ بِنعْمَـةٍ كُبْرَى ، وهى النُّبُوَّةُ والرسَالَةُ ..

ـ ولا تَحْسَبَـنَّ أَنَّكَ بتَرْبِيتك لـى يا فِرْعَوْنُ تَمُـنُّ علَـيَّ ، فأَنـا فَرْدٌ واحدٌ مِـنْ شَعْـبِ بَنِـى إِسْرَائِيـلَ ، لَئِـنْ كُنْتَ قَـدْ أَحْسَنْـت إِلَـيَّ ورَبَّيْتَنِـى ، فَقَـدِ اسْتَغْلَلْتَ شَعْبى ، فسَخَّرْتَـهُ وأَذْلَلْتـهُ ، وذَبَحْـتَ أَبْنـاءَهُ .. هلْ هذا يَعْدلُ جَرَائِمَـكَ فى حَقِّ شَعْبِى ؟! هلْ تظُنُّ يا فِرْعَوْنُ أَنَّ إِحْسَانَـكَ إِلَـيَّ يُكَفِّرُ عَـنْ جَرائِمِـكَ فـى حَقِّ بنى إِسْرائِيـلَ ؟! ولَقَـدْ مَنَّ اللهُ علَيَّ لَمَّـا فَرَرْتُ منْكُمْ وجَعَلَنِى مِـن الْمُرْسَلِينَ .. إِننى رسُـولٌ إِلَيْكَ مِـنْ رَب الْعَالَمِيـنَ ..

فَقَـالَ فِرْعَوْنُ سَاخرًا :

ـ ومـنْ رَب الْعَالَمِيـنَ هذا الَّذى أَرْسَلَكَ يا مُوسَى ؟!

فَقَـال مُوسَـى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ رَبُّ السَّمَاوَات و الأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَـا ..

فنظَر فِرْعَوْنُ إِلى مـنْ حَوْلَهُ و قَالَ :

ـ هل تسمعون ما يقول مُوسَى ؟!

فَقَـال لَهُمْ مُوسَـى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ هو رَبُّكُمْ ، وَربُّ آبائِكُم الأَولِينَ ..





فضَحِكَ فِرْعَوْنُ وقالَ :

ـ إنْ هذا الرَّجُلَ الذى أَمَامَكُمْ يَدَّعى أَنَّهُ رَسُولٌ ، ولابُدَّ أَنْ يكونَ مَجْنُونًا ..

فَأَخذَ مُوسَى عليه السلام يُحدثُهُمْ عَنْ نِعَمِ اللهِ ـ تعالَى ـ عليْهِم ، وأَخذَ يَلْفِتُ نَظَرَ فِرْعَوْنَ ومَنْ حَوْلَهُ إِلَى آياتِ اللهِ الْواضِحَةِ فى الْكَوْنِ ، كما حدَّثهُمْ عَنِ الْبَعْثِ و الْحَساب يَوْمَ الْقِيامَةِ ..

فقالَ فِرْعَوْنُ سَاخرًا :

ـ إِذَنْ سيَكُونُ هُناكَ بَعْثٌ و حَياةٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ؟!

فَقَالَ مُوسَى عليه السلام :

ـ إنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ سَوْفَ يَبْعَثُ النَّاسَ جميعًا للْحِسابِ يوْمَ الْقِيامَةِ ، فَمَنْ عَمِلَ خَيْرًا جازَاهُ بِدُخولِ الْجَنَّةِ ، ومَنْ عمل شرًّا عاقَبَهُ بالْحَرْقِ فى النَّارِ ..

وبدلاً منْ أَنْ يُؤْمِنَ فِرْعَوْنُ ، ويُصَدق كَلماتِ مُوسَى عليه السلام راحَ يَسْخَرُ مِنْهُ ، ويَتَّهِمُهُ تارَةً بأَنَّهُ مَجْنُونٌ ، وتارَةً بأَنَّهُ ساحِرٌ ، وتارَةً بأَنَّهُ كَذَّابٌ ..

ثم هو يَتَهَدَّدُ مُوسَى عليه السلام أخيرًا بقَوله :

ـ إذا لَمْ تَرْجِعْ عمَّا تدَّعيهِ يا مُوسَى ، أَوْ إِذا اتَّخَذْتَ لكَ إِلهًا غَيْرِى ، فَسَوْفَ آمُرُ بالْقَبْضِ عليْكَ ، و أُلْقِى بكَ فى السَّجْنِ ..

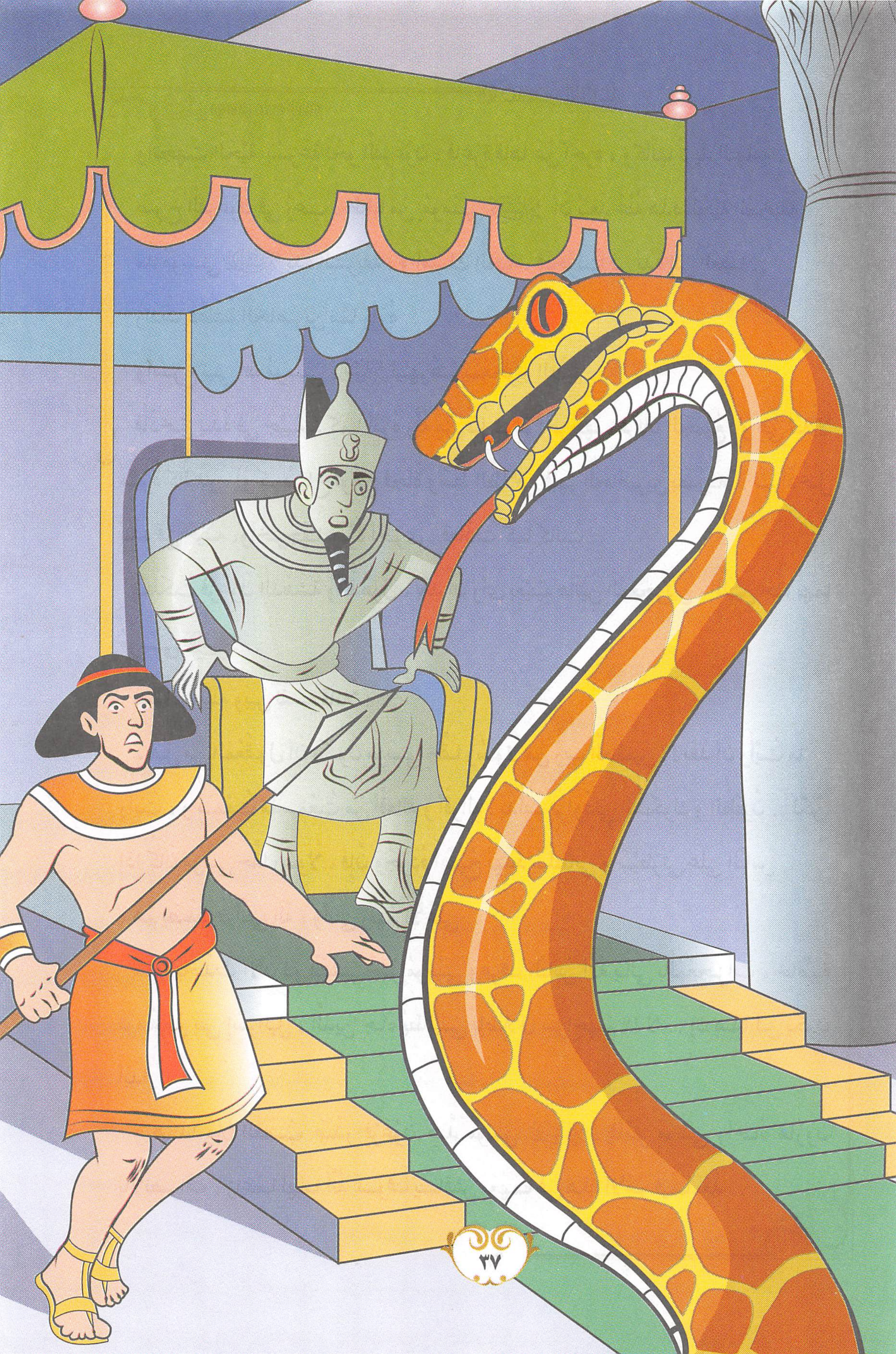
فَقَالَ لهُ مُوسَى عليه السلام :

ـ حتَّى لَوْ جِئْتُكَ بآيَةٍ مُعْجِزَةٍ ؟!

فتعَجَّب فِرْعَوْنُ ، وقالَ فى سُخْرِيَةٍ :

ـ هيَّا يا مُوسَى أَرِنا مُعْجِزَتَكَ الَّتى تتحدَّثُ عَنْها ..

فأَلْقَى مُوسَى عليه السلام عصَاهُ على الأَرْضِ ، كمَا أَمَرَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ ولَمْ تكَدِ الْعَصا تلْمَسُ الأَرْضَ ، حتى تحوَّلَتْ إِلَى حَيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وراحَتْ تَسْعَى علَى الأَرْضِ ، فأَثارَتْ دَهْشَةَ الْفِرعَوْنِ ، ودَهْشَةَ الْحَاضرينَ ، ثم تحوَّلَت الدهْشَةُ إِلَى خَوْفٍ وذُعْرٍ ..



واتَّجهتِ الْحَيَّةُ بِسُرعَةٍ نَحْوَ الْفِرعَوْنِ ، فاغِرَةً فاهَا عَنْ آخِرِه ، وكأنَّها تُرِيدُ الْتِهامَهُ ..

صَرخَ الْفِرعَوْنُ فى رُعْبٍ ، طَالِبًا من مُوسَى عليه السلام أَنْ يُبْعِدَ عَنْهُ هذه الْحَيَّةَ الْمُخِيفَةَ ..

مدَّ مُوسَى عليه السلام يَدَهُ الشَّرِيفَةَ ، و أَمْسَكَ الْحَيَّةَ ، فتَحَوَّلَتْ فى يَدِه إلى الْعَصَا ..

زادَتْ دَهْشَةُ الْحاضِرِينَ مِمَّا رَأَوْهُ ..

وأَسْرَعَ نبى الله مُوسَى عليه السلام لِيَبْهرَهُم بِمُعْجزَتِهِ الثَّانِيَة ..

فأَدْخَلَ يَدَهُ فى جَيْبِهِ ـ كما أَمَرَهُ رَبُّهُ مِنْ قَبْلُ ـ ثُمَّ أَخْرَجَها ، فرآها الْجَمِيعُ ،و هِىَ تَتلأْلأُ مُنِيرةً كالْبَدْرِ ، أَوْ كَمِصْباحٍ تَوَهَّجَ فَجْأَةً وَسْطَ الظَّلامِ ، فَبَهَرَ الْحاضِرِينَ بِضَوْئِه .. ثم أَدْخَلَ يَدَهُ فى جَيْبِهِ ،وأَخْرَجَها مَرَّةً أُخْرَى ، فعادَتْ كما كانَتْ ..

تَمَلَّكَتْ فِرْعَوْنَ الدهْشَةُ والذُّهُولُ ، بَعْدَ أَنْ رأى بعَيْنَيْهِ هاتَيْنِ الْمُعجِزَتَيْنِ ، اللَّتَيْنِ جاءَ بهما مُوسَى عليه السلام ..

فَتساءَلَ بَيْنه وبَيْنَ نَفْسه قائلاً :

ـ هَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يكونَ موسَى حقًّا رَسُولاً مِنْ رب الْعَالَمِينَ ؟! بَعْدَ أَنْ رأَيْتُ ما رَأَيْتُ ، و سمِعْتُ ما سمِعْتُ مِنْ أَفْعالِهِ و أَقْوالِهِ ، بَدَأَتْ تُراوِدُنى الشُّكُوكُ و الظُّنُونُ .. لكِنْ إِذا كانَ موسَى حقًّا رَسُولاً ، فإِنَّ وجُودَهُ أَصْبَحَ يُهَدِّدُ سُلْطانى و سَيْطَرَتى على النَّاسِ .. هُمْ يصَدِّقُونَ أَنَّنى إِلَهٌ ، وأَنَّنى رَبُّهُمُ الأَعْلَى ..

ماذا يَحدُثُ الآنَ لَوِ انْتَشَرَ خبَرُ مُوسَى وعَرفَ النَّاسُ أَنَّهُ يأتى بالْمُعْجزاتِ ، خاصَّةً قَوْمُهُ مِنْ بنى إِسْرائيل ، الَّذينَ جاءَ يُطالِبُنى بإِطْلاقِ سَرَاحِهِمْ ؟! لا .. إِنَّ هذا لنْ يكونَ أَبَدًا ..

و هكذا مَلأَ الْغَضبُ صَدْر فِرْعَوْنَ ضِدَّ موسَى عليه السلام ، فأَمَر مُوسَى وأَخاهُ هارُون بالانْصِرافِ ، زاعمًا لهما أَنَّهُ سَوْفَ يتَناقَشُ معَهُما فى هذا الأَمْرِ فيما بَعْدُ ..





وهكذا غادَر مُوسَى و هارُون عليهما السلام قصْرَ الفِرْعَوْنِ ، وهما يعْرِفان أنَّه لن يُؤْمِنَ ، ولنْ يُطْلق سَرَاح بَنِى إسْرَائِيلَ وكلُّ ما يفْعَلُهُ هو كَسْبُ الْوَقْتِ للْبَحْثِ عنْ وَسَائِل لمُقَاوَمَتِهِما ..

ومَا إنْ غادَر مُوسَى و هارون الْقَصْرَ ، حتى سارعَ الفِرْعَوْنُ بعَقْدِ اجْتِماعٍ عَاجِلٍ معَ وُزرَائِهِ و مُسْتَشارِيهِ و على رَأْسِهِمْ كَبِيرُ وُزَرَائِه هَامَانُ ..

وكَانَ الْهَدَفُ مِنْ هذا الاجْتِماع واضِحًا وهو الْبَحْثُ عن وسيلَةٍ لمَنْع مُوسَى عليه السلام مِن نَشْرِ دَعْوَته بيْن الْمِصْريينَ ، وبَيْنَ بَنِى إسْرَائيل ..

صَحيحٌ أنَّ الفِرْعَوْنَ يسْتَعْبِدُ النَّاسَ ، زَاعِمًا لهمْ أنَّهُ إِلَهٌ ، و أَنَّهُ ربُّهُمُ الأَعْلى ، ولكنَّ مُوسَى عليه السلام جاءَهُمْ بأَشْياءَ خارِقَةٍ للْعادَةِ ، جاءَهُم بمُعجِزاتٍ ..

ومُوسَى عليه السلام يزْعُمُ أنَّ للْكوْنِ إِلَهًا آخر فى السَّمَاءِ ، ويَزْعُمُ أَيْضًا أنَّ النَّاس جميعًا يَجِب أَنْ يتَّجهوا إِلَى إِلَهِهِ هذا بالْخُضُوع و الْعِبادَة ..

ـ هلْ صَحيحٌ يا هَامَانُ ما يَزْعُمُهُ موسَى مِنْ وُجُودِ إلَهٍ غيْرى فى السَّمَاءِ ؟!

فقال هَامَانُ منافقًا :

ـ لا .. موسى يَكْذِبُ .. لاتُصَدقْهُ أَيُّها الْفِرعَوْنُ الإِلَهُ ..

فقال الفِرْعَوْنُ آمِرًا :

ـ اسْمَعْ يا هَامَانُ .. أَصْدِرْ أَمْرًا إِلى الْمُهَنْدِسينَ و الْبَنَّائين كَيْ يَبْنُوا لِى صَرْحًا ..

فقال هَامَانُ :

ـ ماذا تَقْصِدُ بالصَّرْحِ أَيُّها الفِرْعَوْنُ الإِلَهُ ؟

فقال الفِرْعَوْنُ :

ـ ابْنِ لِى بِنَاءً ضَخْمًا مُرتفعًا ، يَصِلُ إلى السَّمَاءِ ..





فقال هَامَانُ :

ـ هذا سَهْلٌ أَيُّها الفِرْعَوْنُ فعِنْدَنا أَمْهرُ البَنَّائينَ فى الْعَالَمِ كُلِّه .. و لكنْ لِماذا ؟

فقال الفِرْعَوْنُ :

ـ أُرِيدُ أَنْ أَصْعَدَ فوْقَهُ ، حتَّى أَصِلَ إلى السَّماوَاتِ ، فَأَنْظُرَ إِلَى إِلَه مُوسَى ، وأَرَى إِنْ كانَ مَوْجُودًا هناك ، أمْ أَنَّ مُوسَى يكْذِبُ ..

فقال هَامَانُ و الْحاضِرُون جَميعًا :

ـ بلْ مُوسَى يكْذِبُ .. كُلُّنا نعْرِفُ أَنَّه كَذَّابٌ ..

فقال الفِرْعَوْنُ :

ـ أنا أَيْضًا واثِقٌ أَنَّه يكْذِبُ ، و أَنَّه مَجْنُونٌ ..

فقال هَامَانُ :

ـ بلْ هوَ سَاحِرٌ يا مَوْلاىَ .. مُوسَى ساحِرٌ مُحْتَرِفٌ ..

فقال الفِرْعَوْنُ :

ـ نعمْ .. لقدْ رَأَيْتُه بعَيْنَىَّ وهو يَسْحَرُ الْعَصَا ، ويُحَولُها إلى ثُعْبانٍ .. لقدْ خُيِّلَ إِلَيَّ مِنْ مَهارَتِه فى السحْرِ أَنَّه ثُعْبانٌ حَقِيقىٌّ ..

فقالَ هَامَانُ :

ـ وأَنا رأَيْتُه وهو يَسْحَرُ يَدَهُ ، ويَجْعَلُها تَشعُّ بالضياءِ .. هذه الأَفْعالُ لا يَقْدِرُ عليْها سوَى سَاحِرٍ مُحْتَرِفٍ ..

فقال الفِرْعَوْنُ :

هو سَاحِرٌ حقًّا ، ولكنْ أَيْن تَعَلَّمَ السحْرَ ؟! .. لقدْ تربَّى فى قَصْرِى ، ولَمْ أَرَهُ مرَّةً واحِدَةً يُجرِّبُ هذه الأَلْعَابَ السحْرِيَّةَ التى قامَ بها ، وبَهَرَتْنا جميعًا ..



فقالَ هَامَانُ :

ـ تعلَّمها خارِجَ الْقَصْرِ يا مَوْلاى .. لقَد اخْتَفَى عَشْرَ سَنواتٍ ، ولابُدَّ أنَّه فى هذه الْفَتْرة ، كانَ يتَلَقَّى دُرُوسًا فى السِّحْرِ على يَدِ أَحَدِ السَّحَرَةِ الْمَهرة ..

الْمِصْرِيُّونَ يُجيدُونَ فُنُونَ السِّحْرِ ، وبارِعُونَ فيها للْغايَةِ يا مَوْلاى ..

فقالَ الفِرْعَوْنُ :

ـ سأَعْرِفُ كيْف أَكشِفُ مُوسَى ، و أُثْبِتُ للنـَّاسِ أَنَّهُ ساحِرٌ .. أُريدُ مِنْكُمْ أَنْ تَجْمعوا لى كُلَّ السَّحَرة ..

فقالَ هَامَانُ :

ـ هذا أَمْرٌ فى غَايَةِ السُّهُولَةِ يا مَوْلاىَ .. سَنَجْمَعُ لك كُلَّ السَّحَرة ، بلْ أَمْهَرَ السَّحَرة ، مِنْ كُلِ أَنْحاءِ مِصْرَ ..

وهكذا أَصْدَرَ فِرْعَوْنُ قَرارَهُ باسْتِدْعاءِ جميعِ السَّحَرَةِ الْماهِرينَ مِنْ كُلِ مُدُنِ وقُرَى مِصْرَ ، ليَأْتُوا إِلَى قَصْرِه ، ويَتَحَدَّوْا بسحْرِهِمْ مُوسَى ، ليَكْشِفوهُ على الْملإِ ، وأَمَامَ النَّاسِ جميعًا ، فَيَنْصَرِفوا عَنِ الاسْتِماعِ إِلَيْه ..

وأَرْسلَ فِرْعَوْنُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ يُحْضِرُهُ إِلَى الْقَصْرِ ، فلمَّا جاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ :

ـ اسْمَعْ يا مُوسَى .. نَعْرِفُ أَنَّكَ سَاحِرٌ ، وأنكَ تُحاوِلُ التَّأْثير علَيْنا بحيلك وأَلاعيبك السحْرِيَّةِ ، و لكنَّ هذه الحِيَلَ سوْفَ تَنْكَشِفُ حَالاً .. لقدْ أَمَرْتُ باسْتِدْعاءِ أَمْهر السَّحَرة ، ليَكْشفوكَ أمامَ النَّاسِ ، إِذا كانَ فى مقدُورِكَ أَنْ تُقابِلَهُمْ ، فَحَدِّدِ الْمَوْعِدَ الَّذى يُناسِبُك ، وإلا فكُفَّ عَنْ هذه الأَكاذِيبِ ..



فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ أنا مُوافِقٌ على مُقابَلَةِ السَّحَرةِ ، ولْيَكُنْ مَوْعِدُنا يَوْمَ الزينَةِ ، في الصَّباحِ .

فقالَ الفِرْعَوْنُ :

ـ اتَّفَقْنا ..

إيمان السحرة

أَصْدَرَ الْفِرْعَوْنُ أَمْرًا بِإِحْضار أَمْهَرِ السَّحَرةِ مِن جميعِ أَنْحاءِ مِصْرَ ، فانْطَلَقَ جُنُودُه يَجْمَعون السَّحَرَةَ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ وكُلِّ مدينَةٍ ..

وحدَّدَ نبيُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْعِدًا لِلالْتِقاءِ بالسَّحَرَة ، صَباحَ يَوم الزِّينة ، وهوَ يَوْمُ عيدِ شَمِّ النَّسيمِ لَدَى الْمِصْريين ..

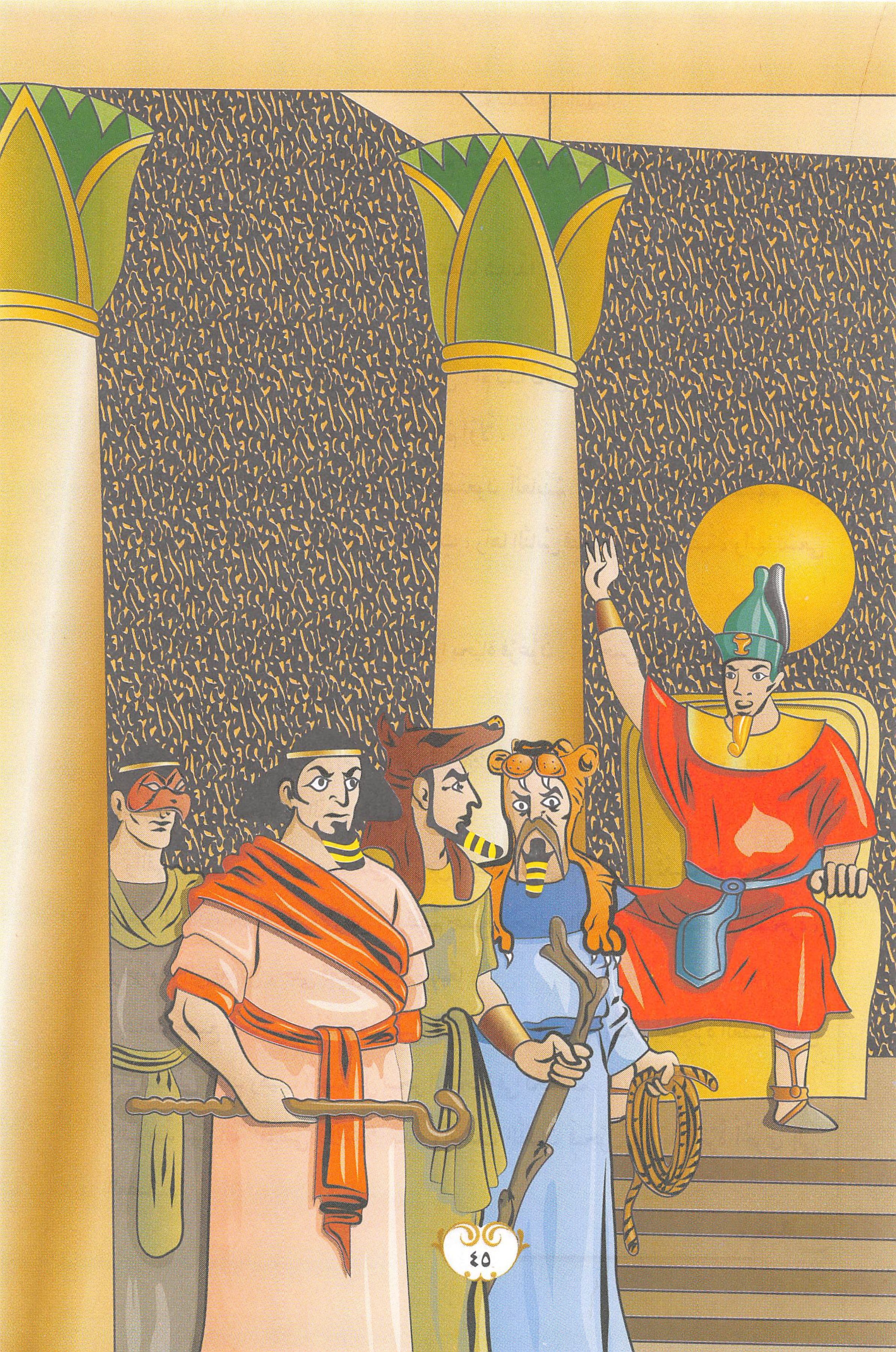
وَقدِ اخْتارَ موسَى هذه الْمُناسبَةَ ، حتَّى تكونَ هُناكَ فُرْصَةٌ لأَكْبرِ عَددٍ مِن جُمُوعِ الشَّعْبِ ، كَيْ يَشْهَدوا اللِّقَاءَ بَيْنَهُ وبَيْنَ السَّحَرَة ..

وحضَرَ السَّحَرَةُ إلى قَصْرِ الفِرْعَوْنِ ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُ أَدَواتِهِ السِّحْرِيَّةَ . مِنْ عِصِيٍّ وحِبالٍ وغَيْرِها .. لقَدْ جاءُوا بأَفْضَلِ ما لَدَيْهِمْ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ ، لِينالوا رِضا الْفِرْعَوْن ..

واجْتَمعَ الْفِرْعَوْنُ بالسَّحَرَة ، فطَلَبَ منهم أَنْ يَبْذُلوا كُلَّ ما في وُسْعِهِمْ ، وكُلَّ ما يعْرِفُونَهُ مِنْ فُنُونِ وحِيَلِ السِّحْرِ ، لِيَبْهَروا جُمُوعَ الشَّعْبِ ، ويُثْبِتوا أمامَها كَذِبَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فردَّدَ السَّحَرَةُ في حَماسٍ ، أَنَّ في مَقْدُورِهِمْ هزيمَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بسُهُولَةٍ ، وسألوا فِرْعَون إذَا كانَ سَيُعْطِيهِمْ أَجْرًا عَنْ عَمَلِهِمْ هذا .. فوعَدَهُمُ الْفِرعَوْنُ أَنَّهُ سَيُجْزِلُ لَهمُ الْعَطاءَ ، إذا تَمكَّنُوا مِنْ هزيمَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكَشْفِ ادِّعاءَاتِه أَمامَ الْحاضِرين ..

وحَلَّ يَوْمُ الزِّينةِ فحَلَّ مَوْعِدُ اللِّقاءِ بيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ والسَّحَرَةِ .. اجْتَمعَ النَّاسُ من كُلِّ مكانٍ لِيشَاهِدوا الْمُباراةَ الْكُبْرى بيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسَحرةِ فِرْعَوْن ..



وقفَ السَّحرةُ أمامَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فأقْسمَ السَّحرةُ بعزةِ فِرْعونَ أنهُم سوْفَ يغْلِبُونَ موسَى ..

فردَّ عليْهمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قائِلاً :

ـ لا تَفْتَرُوا على اللهِ الْكَذِبَ ، فيُعذبَكُمْ عذابًا شَدِيدًا ..

ـ سَألَ السَّحرةُ مُوسَى ..

ـ هلْ تَبْدأُ أنْتَ بإلْقاءِ سِحْرِكَ أوّلاً ياموسَى ، أمْ نَبْدأُ نحْنُ ؟

فطلَبَ مِنْهُم مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يَبْدءُوا هُمْ أوّلاً ..

وبَدأَ السَّحرَةُ يُمارِسون سِحْرَهُمْ ، ويَصْنَعونَ ألْعَابَهُمْ ، ألْقَوْا حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ على الأرْضِ ، فأخَذتْ تتحَوَّلُ إلى ثعَابين وحيَّاتٍ ، رآهَا النَّاسُ فتخيَّلوا أنَّها حَقِيقيَّةٌ ، وأنَّها تسْعَى على الأرْضِ ..

هتفَ الْحاضِرونَ تَحِيَّةً لِلسَّحَرةِ ، وهَتفوا بحياةِ فِرْعَوْنَ .. وأحسَّ نبىُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالْخَوْفِ فى داخِله ، وبالرَّهْبَةِ ..

ولكِنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ أوْحَى إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُطَمْئِنًا قَلْبَهُ ، وأمَرهُ ألا يَخافَ ، واعِدًا إيَّاهُ بالتَّفوُّقِ على السَّحَرةِ ، والنَّصْرِ علَيْهمْ ..

وألْقَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عصاهُ على الأرْضِ ، فتحوَّلَتْ فى الْحَالِ إلى ثُعْبَانٍ حَقِيقى كَبيرٍ .. وأخذَ الثُّعْبَانُ يَتحرَّكُ على الأرْضِ ، ويلْتَهِمُ جميعَ الْحِبالِ والْعِصِىِّ ، الَّتى سَحرَها السَّحَرةُ ، وحَوَّلُوها إلى ثَعابِينَ ، حتى قضَى عليْها جميعًا ..

شاهَدَ جميعُ الْحاضِرينَ مُعْجزَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتى أيَّدهُ بها ربُّهُ .. مُعْجزَةَ الْعَصا ، الَّتى تحوَّلَتْ إلى ثُعْبانٍ رَهيبٍ الْتَهمَ كُلَّ سِحْرِ السَّحَرَةِ فى لحظَاتٍ ..

ثُمَّ مَدَّ نبىُّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدَهُ وأمْسَكَ الثُّعْبانَ فتحوَّلَ فى يَدِهِ مرَّةً أُخرى إلى الْعَصَا ..



ذُهِلَ جميعُ الْحَاضِرين ممَّا رَأَوْهُ وشاهَدُوهُ بأَعْيُنِهِمْ ، وتأكَّدوا أنَّ موسَى لَيْسَ سَاحِرًا ..

وكانَ أَكْثَرُ الْحَاضِرين ذُهولاً ، وأَشَدُّهُمْ دَهْشَةً هُمُ السَّحَرَةُ ، الَّذين أيْقَنوا أنَّ موسَى لَيْسَ سَاحِرًا ، وإنَّما هو نَبى مُرْسَلٌ ..

ولذلكَ أَلْقَى السَّحَرَةُ بأَنْفُسِهِمْ على الأرْضِ سَاجِدينَ لِلهِ ـ تعالَى ـ وهُمْ يُرَدِّدُونَ :

﴿ آمَنَّا بِربِّ الْعالَمِين ، رَبِّ مُوسَى وهَارُونَ ﴾ ..

وشَهِدَ جميعُ الْحاضِرينَ بمَنْ فِيهِمْ فِرْعَوْنُ وجُنُودُهُ وأَعْوانُهُ ، السَّحَرَةَ وهـمْ يُعْلِنونَ إيمانَهُمْ باللهِ رَبِّ الْعَالَمينَ ..

وغَضِبَ فِرْعونُ غضَبًا شَدِيدًا ، فصاحَ فى السَّحَرَةِ مُهَدِّدًا ومُتوَعِّدًا :

ـ كَيْفَ تُؤْمنونَ بـه قبْلَ أنْ أُصرِّحَ لكُمْ بذَلك ؟!

تعَجَّبَ السَّحرةُ وقَالوا :

ـ وهَلْ نَحْتَاجُ إلى تصْرِيحٍ مِنْكَ كَىْ نُؤْمِنَ بِخالِقِنا ورازِقِنا ؟!

وشَهِدَ السَّحرَةُ بأَنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبىٌّ مُرْسَلٌ مِن اللهِ رَبِّ الْعَالَمينَ ..

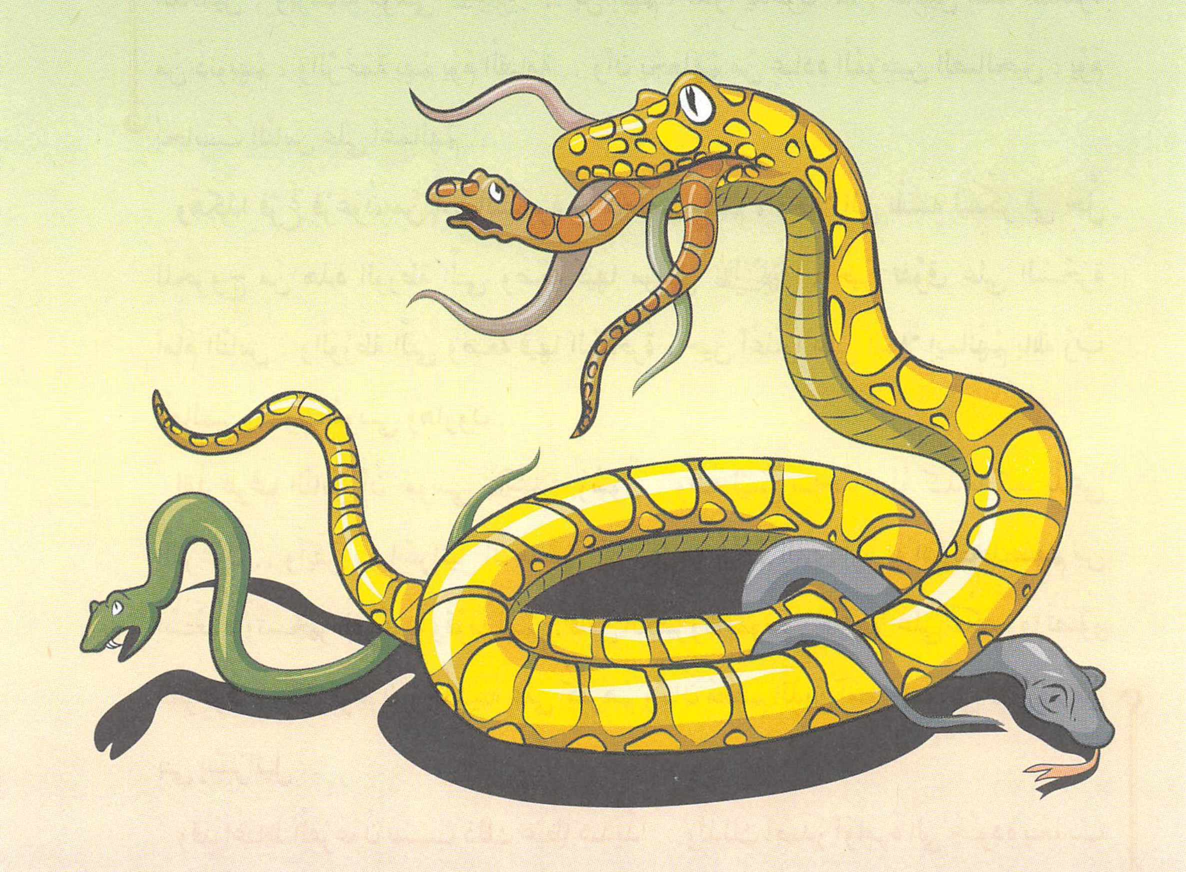
فصاحَ فِرْعَوْنُ غاضِبًا :

ـ هكَذا ؟! إذَنْ فَمُوسَى هـوَ كَبِيرُكُمْ ، الَّـذى علَّمَكُمُ السِّحْرَ .. سَوْفَ آمُرُ بصَلْبِكُم على جُذُوعِ النَّخْلِ ، وسوْف آمُرُ بتَقْطِيعِ أَيْديكُمْ وأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلافٍ ..

ولمْ يُبالِ السَّحَرَةُ بتَهْدِيدِ فِرْعَوْن لهُمْ ، ولَمْ يَخافوا مِنْ ثَوْرتِهِ وغَضَبِه .. لقَدْ أَعْلَنوا إيمانَهُمْ بِرَبِّ الْعَالَمينَ ، وهوَ أقْوى مِنْ فِرْعَوْنَ ، وأَقْوَى مِنْ كلِ الْقُوَى فى الْكَوْنِ ..

نعَمْ ، فاللهُ وَحْدَهُ هو أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كبيرٍ ، وأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ .. ولِهَذا فلَنْ يُبالىَ السَّحَرَةُ بِشَىءٍ ، حتَّى وإنْ عذَّبَهُمْ فرعوْنُ وقتَلَهُمْ .. يكْفيهمْ أَنَّهُمْ بإيمانِهِمْ هذا سوْفَ ينالون رِضْوَانَ اللهِ ـ تعالَى ـ ومَغْفِرَتَهُ ..





وأصْدَرَ الْفِرعونُ أمْرَهُ إلى جُنودِهِ ، بسَحْبِ السَّحرَةِ إلى جُذوعِ النَّخلِ وتقْييدِهِمْ فيهَا .. ثم تَقطِيعِ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلِهِمْ مِنْ خِلافٍ (أَىْ قَطْعِ الْيَدِ الْيُمْنَى مَعَ الرِّجْلِ الْيُسْرَى أو الْعَكْس) .. وبدأَ جُنُودُ فرْعَوْنَ ينفِّذُونَ أَوَامِرَهُ فصَلَبُوا السَّحَرَةَ وقطَعوا أيْدِيَهُمْ وأرْجُلَهُمْ مِنْ خِلافٍ ..

ولكنَّ السَّحَرَةَ لَمْ يُبالوا بما وقَعَ عليهِمْ مِنَ الْعَذابِ .. ولَمْ يَتَراجَعُوا عَنْ إيمانِهِمْ باللهِ رَبِّ الْعَالَمينَ ، وبِرِسَالَةِ موسى عليه السلام .. بَلْ إنَّهمْ أخذوا يدْعُونَ اللهَ ، طالِبينَ مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ ذُنوبِهِمْ ، والرَّحْمَةَ بهِمْ يومَ الْقِيامَةِ .. وأنْ يجْعَلَهمْ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤمنين الصَّالحينَ ، يوْمَ يُحَاسِبُ النَّاسَ على أَعْمالِهِمْ ..

وهَكَذا فرَغَ فِرْعَوْنُ مِنْ أَمْرِ السَّحَرَةِ .. تخَلَّصَ مِنهُمْ ، وخَلاَ إلى نَفْسِهِ لِيُفكِّرَ فى حَلٍّ للْخروجِ مِنْ هذه الْوَرْطَةِ الَّتى وضَعَهُ فيها موسَى عليه السلام ، حينَ تفَوَّقَ على السَّحَرَةِ أَمامَ النَّاسِ ، والْوَرْطَةِ الَّتى وضَعَهُ فيها السَّحَرَةُ ، حينَ أَعْلَنُوا على الْمَلأِ إيمانَهُمْ باللهِ رَبِّ الْعَالَمين .. رَبِّ مُوسَى وهَارون ..

لقدْ عرفَ النَّاسُ أَنَّ موسَى عليه السلام رَسُولٌ ، وأنَّهُ لَيْسَ سَاحِرًا ، أَوْ كَذَّابًا كما يَدَّعِى الْفِرعَوْنُ .. وأَيْقَنَ بَنُو إسْرائيل أَنَّ موسَى عليه السلام هو نَبِيُّهُمُ الَّذى أَرْسَلَهُ اللهُ لِتَخليصِهِمْ مِنَ اسْتِعْبادِ وتَسْخيرِ الْفِرْعونِ وقَوْمِهِ لهُمْ .. فآمَنَ الْكَثيرون بموسَى عليه السلام على عَكْسِ ما تَصَوَّرَ الْفِرْعَوْنُ ، وظَلَّ فِرْعَونُ وحاشِيَتُهُ على كُفْرِهِمْ وكانَ مُعْظَمُ الَّذِينَ آمنوا بموسَى عليه السلام مِنْ بنى إسْرَائيلَ ..

وقَدِ اغْتَاظَ الْفِرْعَوْنُ بِسَبَبِ ذلك غَيْظًا شَدِيدًا .. ولِذلكَ أَصْدَرَ أَوَامِرَهُ إلى جُنُودِهِ بتَعْذِيبِ وإِرْهَابِ بنى إسْرَائيلَ ، حتَّى لا يُؤْمِنوا بموسَى عليه السلام ..

وكانَ أَبْشَعُ هذه الإِجْرَاءاتِ هو قَتْلُ الأَبْنَاءِ ، وسَجْنُ الرِّجَالِ ، وإِيذاءُ النِّساءِ .. فلمَّا رَأَى نبيُّ اللهِ موسى عليه السلام هذا الْعَذَابَ الَّذى وقعَ بقَوْمِهِ مِنْ بنى إسْرَائيلَ ، أَمَرَهُمْ بأَنْ يَسْتَعِينوا على ذَلِكَ بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ ..

ولكنَّ تَعْذِيبَ الفِرعَوْنِ لبنى إسْرَائيلَ قدْ زادَ عَنْ ذِى قَبْلُ ، فَدَبَّتْ رُوحُ الْيَأْسِ والْهَزِيمَةِ بَيْنَهُمْ ، وشَكَوْا أَمْرَهُمْ إلى نبيهِمْ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فطلبَ مِنْهُمْ أَنْ يُفَوِّضُوا أَمْرَهُمْ إِلى اللهِ ـ تعالَى ـ فهوَ وحْدَهُ الْقَادِرُ على إهْلاَكِ عَدُوِّهِمْ ، هوَ وحْدَهُ القَادِرُ على أنْ يُمَكِّنَ لهُمْ فى الأَرْضِ ..

وفى هذهِ الأَثْنَاءِ الَّتِى كانَ فيها موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يواجهُ غضبَ الْفِرْعَوْنِ ، ومُؤَامَراته عليْه ، وعلى قَوْمِهِ ، وكانَ يُواجِهُ مُؤَامَرَةً أُخْرَى ، دبَّرَها لهُ واحِدٌ مِنْ قَوْمِه .. كانَ هُناكَ شَخْصٌ آخَرُ غَيْرُ الْفِرْعونِ يسْعَى لِلْقَضَاءِ على موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورِسَالَتِه .. وكان هذا الشَّخْصُ هوَ « قَارُونُ » ..

كان قَارونُ واحِدًا مِنْ بنى إسْرَائيلَ ، ويُقَالُ إنَّهُ كان ابْنَ عَمِّ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وكانَ قَارونُ رَجُلاً ثَرِيًّا جدًّا ، ورُبَّما كانَ أَغْنَى رَجُلٍ فى زَمَانِه ، فكانَ يَمْتَلِكُ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ، والأَرْضَ والْقُصُورَ والْحَدائِقَ والْخدَمَ ، وكُلَّ شَىْءٍ .. ولِكَىْ نَعْرِفَ مَدَى ثَرَاء قَارُون ، علَيْنا أَنْ نَعْرفَ أَنَّ مَفَاتِيحَ الْخزَائِنِ والْحُجُرَاتِ ، الَّتِى تَضُمُّ كُنُوزَهُ ، كانَ يَصْعُبُ على مجْمُوعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ الأَشِدَّاءِ حَمْلُهَا ..فمَا بَالُنَا بالْكُنُوزِ نَفْسِها ؟!

وكانَ لِقَارُونَ عَدَدٌ من الْعَرباتِ الْمُزَيَّنَةِ بالذَّهَبِ والْفِضَّةِ ، والْمَعَادِنِ والأَحْجارِ النَّفِيسَةِ ، والتى تَجُرُّهَا أَضْخَمُ أَنْوَاعِ الْجِيادِ ..

وكانَ قَارُونُ يُحبُّ أَنْ يَخرجَ على قَوْمِهِ فِى مَوْكِبٍ عظيمٍ مُخْتَالاً فى مَلابِسِهِ الثَّمِينَةِ ، يَتَقَدَّمُهُ الْخدَمُ ، ويُحيطُ بِهِ الأَتْبَاعُ .. وكانَ النَّاسُ يَشاهِدُونَ مَوْكِبَ قَارونَ ، ويتعَجَّبُونَ من شِدَّةِ ثَرَائِه .. لِدَرَجَةِ أَنَّ ضِعَافَ الإِيمَانِ وضِعَافَ النُّفُوس ، كانوا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يكونَ لهمْ مِثْلُ ما لقَارُونَ مِنَ الأَموالِ والْكُنُوزِ .. لكن الْمُؤْمِنينَ مِنْ قَوْمِ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانوا يَنْهَرونَهُمْ ، مُذَكِّرِين إِيَّاهُم بأَنَّ ثَوَابَ اللهِ أَفْضَلُ مِنَ الذَّهَبِ ومِنَ الْكُنُوزِ ، التى يُمْكِنُ أَنْ تَزُولَ فى أَيَّةِ لَحْظَةٍ ، بَيْنَمَا يُوصِّلُ الإِيمانُ إِلَى السَّعَادَةِ فى الدُّنيا ، وفِى الآخِرَةِ ..

وقَدْ نصَحَ الْعُقلاءُ والْمُؤْمنُونَ قَارون بأَنْ يَعْمَلَ عَمَلاً صَالحًا فى الدُّنْيَا ، لينالَ ثوَابَ اللهِ ورضْوَانَهُ فى الآخرَة ، وَأَنْ يُحْسنَ إلى الْفقَرَاءِ ، ويتصدَّقَ منْ أَمْوالِهِ علَيْهِمْ ، ويُخرجَ لهمْ زكَاةَ أَمْوالِه ، وأَنْ يُحْسنَ كما أَحْسَنَ اللهُ إليْه .. وألايعْمَلَ على نشْرِ الْفَسَادِ فى الأَرْضِ ، ومُناصَرَةِ الظَّالمينَ ..

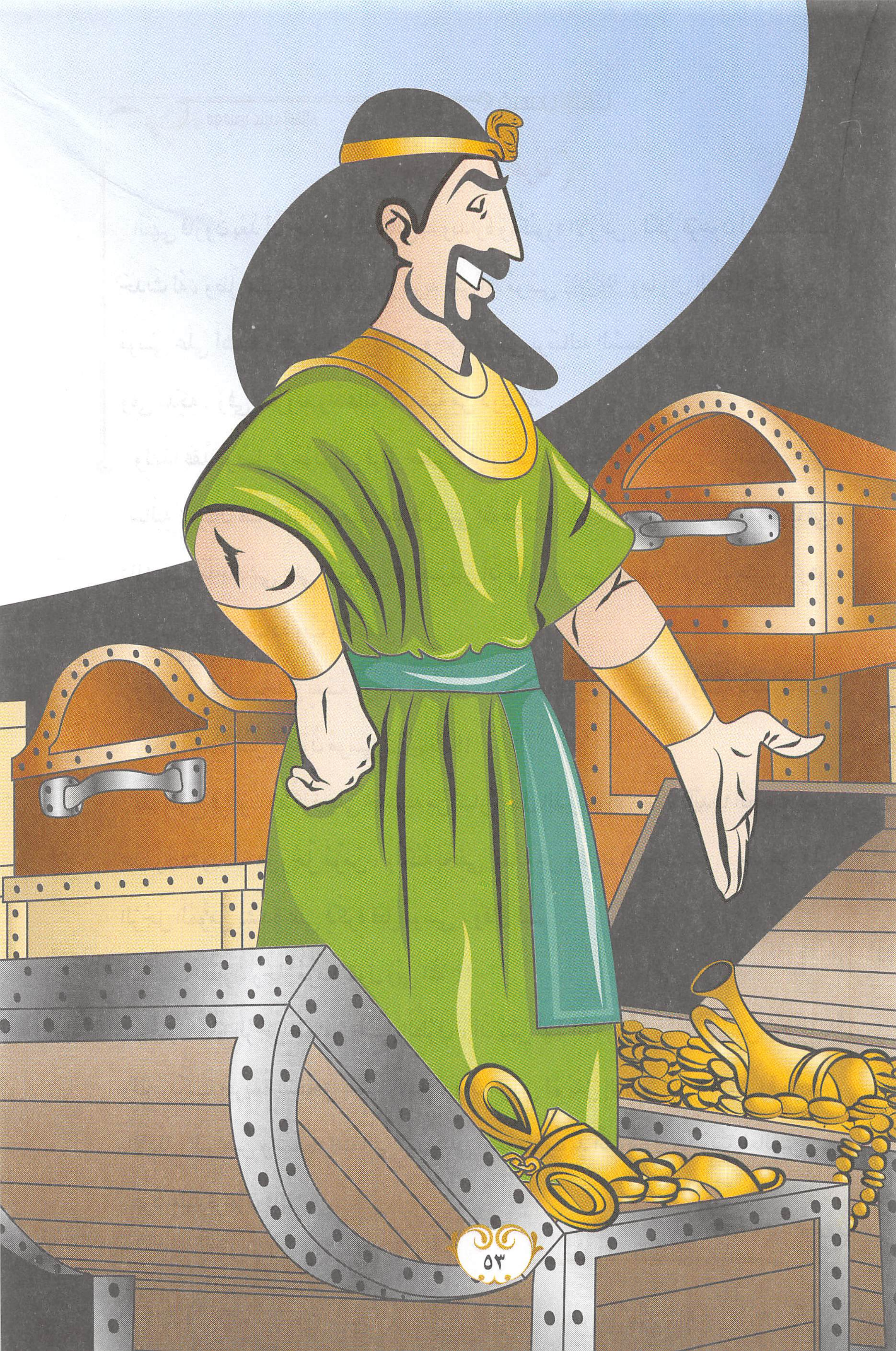
ولكنَّ قَارونَ لَمْ يسْتمِعْ إلى شَيْءٍ منْ نَصَائحِهِمْ ، وبَدَلاً من أَنْ يَحْمَدَ اللهَ ـ تعالَى ـ ويَشْكُرَهُ على هذه النِّعَم الْكَثيرَةِ الَّتى أَنْعَمَ بها علَيْه ، رَاحَ يَتَبَاهَى بأَنَّ هذا الثَّرَاءَ ، وتِلْكَ الأَمْوالَ ، قدْ جاءَتْهُ نَتيجَةَ علْمِهِ ، ولَيْسَ لأَنَّ اللهَ قدْ رَزَقَهُ بها ..

وقدْ صَوَّرَ لهُ الْوَهْمُ والضَّلالُ أنَّهُ أَفْضَلُ منْ نبى الله موسى عليه السلام ، وأَنَّ اللهَ يُحبُّهُ أكْثرَ منْ مُوسَى عليه السلام ولهذا كانَ هو غنيًّا ، وكانَ موسَى فَقيرًا ..

ولَمْ يَكْتَفِ قَارُونُ بذلك ، بلْ تحالَفَ معَ الْفرعَوْنِ ضِدَّ موسَى عليه السلام ودَبَّرَ مُؤامَرَةً لِلنَّيْلِ منْ سُمْعَةِ نبى اللهِ موسى عليه السلام وتَشْويهِهَا ، ولكنَّا لله نَجَّى نبيَّهُ موسى ، وفَضَحَ قَارُون .. وغَضِبَ موسَى عليه السلام فدعَا على قَارُونَ ..

واسْتَجابَ اللهُ ـ تعَالَى ـ دُعَاءَ موسَى عليه السلام فَخَسَفَ بِقارونَ وبِكُنُوزِه الأَرْضَ ..

وأَصْبَحَ الَّذينَ كانُوا يتمَنَّوْنَ أنْ يكونَ لَهُمْ مِثْلُ كُنُوزِ قَارون ، يَحْمَدُونَ الله على أنَّهُ لمْ يَجْعَلْهُمْ مِثْلَ قارونَ ..



مؤمن آل فرعون

انْتَهَى قارُونُ بعْدَ أَنْ خَسَفَ اللهُ تعالَى به وبِدَارِه وبِكُنُوزِه الأَرْضَ ، لكنَّ فرْعونَ لمْ يتَّعِظْ بما حدثَ لهُ ، وظلَّ على عِنادِه وكُفرِه وحَرْبِهِ لنبى اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وما زال الصِّراعُ بَيْنَهُ وبَيْن مُوسَى على أَشُدِّهِ ، ففِرعَوْنُ يُدْرِكُ أَنَّ وُجُودَ مُوسَى برِسَالَتِه السَّماوِية يُهَدِّدُهُ فِى حُكْمِهِ ، وفى مُلْكِهِ ، وفى جَبَرُوتِهِ وادِّعَائه الأُلُوهِيَّةَ مِن دُونِ اللهِ ..

ولِهذا فقدْ توصَّلَ فرعَوْنُ إِلَى قرارٍ خَطيرٍ ، قرَارٍ تَصَوَّرَ أَنَّ فيهِ نِهَايَةَ مُوسَى ، والْقضاءَ على رِسَالَتِهِ ، وكانَ هذا الْقرارُ الْخطير هو قَتْلُ نبى اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانَتْ حُجَّةُ الفرْعَوْن فى ذلك هى أَنَّهُ يخْشَى على شَعْبِهِ مِنَ الْمِصْرِيِّين أَنْ يُبَدِّلَ مُوسَى بدِينهِمُ الدينَ الْجَدِيدَ ، وهو دِينُ التَّوْحِيدِ ، وعِبادَة ربِّ الْعَالَمِينَ ..

وفِرعَوْنُ بذلك يخْدَعُ نَفْسَهُ ،ويَخْدَعُ شَعْبَهُ ، كما أَضَلَّهُ مِنْ قَبْلُ ، حِينَ أَوْهَمَهُ بأَنَّـهُ إِلَهٌ ..

ولكن كَيْف يقْتُلُ فرعَوْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟!

لقدْ طرَحَ فرعَوْنُ الْفِكْرَةَ على حاشِيَتِهِ مِنْ كِبارِ رجال الدَّوْلَة والْوُزَرَاءِ ، فأَيَّدهَا الْجَميعُ فيما عدَا رَجُلاً واحِدًا هو رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ، ولكنَّهُ يُخفِى إِيمَانَهُ عن الْفرعَوْنِ وحاشِيتِهِ .. اعْترَضَ هذا الرَّجُلُ الْمُؤمِنُ بِشِدَّةٍ على فِكْرَة قتْلِ موسَى ، وقال لَهُمْ :

ـ كَيْفَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً مُؤْمِنًا يقولُ رَبِّىَ اللهُ ؟!

وحاوِلَ هذا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ بِشَتَّى الطُّرُقِ ، أَنْ يُبيِّنَ لهم أَنَّ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ مُجْرِمًا ، ولَمْ يرْتَكِبْ جريمَةً يسْتَحِقُّ علَيْها الْقتْلَ ، وأَنَّ موسَى لَمْ يَقُلْ إِلا « لا إِلَهَ إِلا اللهُ » وقدْ جاءَ بالأَدِلَّةِ والْبَرَاهِينِ والْمُعْجزاتِ الَّتى تدُلُّ على صِدْقِهِ ، وتُؤَيِّدُ أَنَّه رسُولٌ مِنْ ربِّ الْعَالَمِين ..

فردَّ عليْه فرعَوْنُ قائلًا :



ـ موسى كاذِبٌ ، ولَيْسَ رَسُولًا كما يَزْعُمُ ..

فقالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ :

ـ إذا كانَ موسَى كاذِبًا كما تقُولون ، فهوَ الَّذى سَوْفَ يَتحمَّل عاقِبَةَ كذِبِهِ وافْتِرائِهِ على اللهِ .. وإذا كانَ صَادِقًا ورسُولًا مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ، ثم قتَلْتُمُوهُ ، فكَيْفَ سَتَنْجونَ مِنَ الْعَذابِ الأَليمِ الذى تَوَعَّدَكُمْ بِهِ موسَى ؟!

فقالَ فرعَوْنُ سَاخِرًا :

ـ وهلْ تُصَدِّقُ هذا التَّهْدِيد مِنْ مُوسَى ؟!

فقالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ :

ـ يا قَوم أَنْتُمُ الْيَوْمَ فى مَراكِزِ الْحُكْمِ والسُّلْطَةِ ، فإذا اسْتَغْلَلْتُمْ مَراكِزَكُمُ الْقَوِيَّةَ فى إيقاعِ الأَذَى والضَّرَرِ بمُوسَى ومَنْ آمَنَ مَعهُ ، فمَنْ يُنْجيكُمْ من عذابِ اللهِ ، إذا حَلَّ بكُمْ ؟!

فردَّ فرعوْنُ على الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ـ الذى يَكْتُمُ إيمانَهُ ـ بطريقَةٍ حازمةٍ ، مُوَضِّحًا لهُ أنَّ الرَّأْىَ رَأْيُه هو ، وهوَ لا يَرَى إلَّا الْحَقَّ والصَّوابَ ، الذى يَهْدِى قَوْمَهُ إلى طريقِ الرَّشادِ ..

ولكنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ لَمْ يقْتَنِعْ بكلامِ الْفرعَوْنِ ، فأخذ يُذَكِّرُ الْفِرعْونَ وحاشِيَتَهُ بِقَصَصِ الأَقْوامِ السَّابقِينَ مثل : قَوْمِ نُوحٍ و قَوْمِ عادٍ و قَوْمِ ثَمُودَ ، والأَقْوامِ التى جاءَتْ مِنْ بَعْدِهِم .. وكيْفَ أنَّ هَؤُلاءِ الأَقْوامِ كَفروا باللهِ، وكَذَّبوا رُسُلَهُ الذين أَرْسَلَهُمْ إليْهِمْ ، ولَمْ يَسْتَمِعُوا إلى نُصْحِهم وإرْشادِهِمْ ، فَحلَّ عليْهِمْ عَذابُ اللهِ ، بِتَدْميرِهِمْ وإهْلاكِهِمْ فى الدُّنْيا ، وتَعْذِيبِهِ لَهُمْ فى الآخِرَةِ ..

ولم يَكْتَفِ بذلك ، بلْ راحَ يُذَكِّرُهُمْ بقِصَّة نبىِّ اللهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهى قِصَّةٌ وقَعَتْ فى مِصْرَ ، فقَدْ جاءَ يُوسُفُ بالآياتِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ رسالَتِهِ ، وبِرغْمِ ذلك لَمْ يصَدِّقْه النَّاسُ ، ولَمْ يُؤْمنوا بِهِ .. ثُم راحَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ يَعِظُهُمْ قائلًا :

ـ يا قَوْمِ لقدْ جاءَتْكُمُ الْفُرْصَةُ لكَيْ تُؤْمنوا ، فلا تُضَيِّعوها مِنْ بَيْنِ أَيْديكُمْ ، فتَنْدَموا إِلى الأَبَدِ .. هذا رَسُولُ الله موسَى قدْ جاءَكُمْ يدْعوكُمْ إِلى الْهُدَى ، فَلِماذا لا تَهْتَدُونَ ؟!

وهكذا راحَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ ـ الذى يَكْتُمُ إيمَانَهُ ـ يُقْنِعُ فِرعَوْنَ وحاشِيَته ، مرَّةً بالتَّرْغِيبِ ، ومرَّةً بالتَّهْديدِ والْوَعِيدِ ، ويُوَضِّحُ لهمْ أَنَّ فِكْرَةَ قَتْلِ مُوسَى فِكْرَةٌ خاطِئَةٌ ..

ثم طَلَب مِنهمْ أَنْ يَتَّبعوهُ فى الإِيمان بمُوسَى ؛ لأَنَّ الإِيمان هو طَريقُ الرَّشَادِ والْفَلاحِ فى الدُّنيا والآخِرَةِ .. ثم أَخذَ يُذَكِّرُهُمْ بفِعْلِ الْخَيْراتِ والابْتِعادِ عَنِ الْمَعَاصى والسَّيِّئاتِ .. وأَخذَ يُذَكِّرُهمْ بأَنَّ اللهَ سوْفَ يُحاسِبُ النَّاسَ جميعًا يوْمَ الْقيامَةِ ، فمَنْ عَمِلَ صَالحًا أَدْخلَهُ الْجنَّةَ ، ومنْ عَمِلَ سُوءًا عاقَبَهُ أَشَدَّ الْعِقابِ .. وهكَذا أَعْلنَ الرَّجُلُ الْمُؤمِنُ ـ الذى يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ـ أَعْلنَ إِيمانَهُ أَمامَ الْفرعَوْنِ وحاشِيتِهِ ..

عَرفَ الْجميعُ أَنَّه مُؤْمنٌ .. وعَرفَ الْفِرعَوْنُ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ وُزرائِهِ أَوْ مُستَشارِيهِ الْمُقرَّبين إِلَيْهِ كان مؤمِنًا بموسَى ، لكِنَّهُ كان يُخفى عَنْهُمْ إيمانَهُ ..

فلمَّا انْكَشَفَ لِلْجميعِ إيمانُ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ، أَصْبَحَ فِرعَوْنُ يَخْشَى أَنْ يَتزَايَد أَتْبَاعُ موسَى والْمُؤْمنُونَ به دَاخِلَ قَصْرِهِ ، وبَيْنَ حاشِيَته ، ولِهذا تَحوَّلَ انْتباهُ فِرعَوْنَ مِن فِكْرَةِ قَتْلِ مُوسى ، إِلى قَتْلِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ..

ولكنَّ فِرعَوْنَ فكَّرَ طويلاً ، وتوَصَّلَ إِلى أَنَّ قَتْلَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ قدْ يُثيرُ غضَبَ النَّاسِ ، كما أَنَّ التَّخلِّى عنْ قَتْلِهِ فيه خَطَرٌ عَلَيْه ..

وهكَذا راحَ فرعَوْنُ و حاشِيَتُهُ يَمْكُرُونَ بالرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ويُدَبِّرونَ لهُ الْمَكايِدَ ، للتَّخلُّصِ مِنه ، ولكنَّ اللهَ تعالى حَفِظَهُ مِنْ مَكْرِهِمْ ، ونَجَّاهُ مِنْ شَرِّهِمْ ..

وبرَغْمِ تَيقُّنِ الْفِرعوْنِ مِنْ أَنَّ موسَى علَى حَقٍّ ، ومِنْ أَنَّهُ نبىٌّ مُرْسَلٌ مِنْ ربِّ الْعَالَمِين ، فإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ به ولَمْ يَسْمَحْ لِبَنِى إِسْرائيلَ بمُغادَرَةِ مِصْرَ والذَّهابِ مَعَهُ كما طَلبَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .



بلِ اسْتَمرَّ الْفرعوْنُ فى قَتلِ الأَبْناءِ ، وإهَانَةِ النِّساءِ ، وتَسْخِيرِ الرِّجالِ فى الْعَملِ وتَعْذِيبِهِمْ ..

وشدَّدَ اللهُ تعالَى على فرعْونَ وقَوْمِهِ ابْتلاءً وتَخْويفًا لَهُمْ ، لَعَلْهُم يرجِعون عَنِ الْكَيْدِ لمُوسَى والرَّجُلِ الْمؤمِنِ ، وتَعْذِيبِ بَنى إسْرائيلَ .. وبَدأ سُبْحانَهُ يَبْتليهِمْ بعَدَدٍ مِنَ الآفاتِ .. فكان أوَّلُ ابْتِلاءٍ لِفرعَوْنَ وقَوْمِهِ ، هوَ نُقْصانُ مَاءِ النِّيلِ ، فَأَجْدبَتِ الأَرْضُ ، ولَمْ تُخْرِجِ الزَّرْعَ والثِّمارَ التى كانَتْ تأْتِى بها فى كُلِّ عامٍ ، ولذلكَ انْتَشَرَتِ الْمَجاعَةُ ، وارْتَفَعتِ الأَسْعارُ ، واشْتَدَّ الْقَحْطُ والفقْرُ ..

وَبِرغْمِ ذلك فإنَّ فرعوْنَ وقَوْمَهُ لمْ يُؤْمنوا بموسَى ورِسالَتِهِ ، بلْ إنَّهُمْ أَرجَعوا ذلكَ الْجَدْبَ ، الذى أَصابَهُمْ إلى تَشاؤُمِهِمْ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى وُجودِه بيْنَهُمْ .. وكُلَّما اشْتَدَّ بِهِم الْقَحْطُ والْمَجاعَةُ ، أَرْجَعوا ذلك إلَى سَببٍ غريبٍ ، وهُو سِحْرُ مُوسَى ، واتَّهَمُوهُ بأنَّه هو الْمُتَسَبِّبُ بِسِحْرِهِ ، فى كلِّ ما حَلَّ بهِمْ .

ثمَّ شدَّدَ اللهُ تعالَى على فِرعْوْنَ وقوْمِهِ ، مَرَّةً أُخرَى ، فأَرْسَلَ علَيْهِمُ الطُّوفَانَ ..

فاضَ النيلُ فَيَضانًا رَهيبًا ، وبطَرِيقَةٍ مُخيفَةٍ ، فأَغْرقَ الأرْضَ ، ودمَّرَ الْمَحْصُولاتِ ، ولمْ تَعُدِ الأَرْضُ صَالِحَةً لِلزِّراعَةِ .. فاسْتَمرَّ الْجُوعُ والْقَحْطُ ، و اشْتَدَّ ارْتِفاعُ الأَسْعارِ ، واخْتِفاءُ الطَّعامِ .. وفى هذه الْمَرَّةِ سارعَ الْقَوْمُ إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وطَلَبُوا منْهُ أَنْ يدْعُوَ لهمْ رَبَّهُ ، لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ ما حَلَّ بهِمْ منَ الْضُّرِّ والْعَذابِ ، فقالوا لهُ :

ـ نَعرِفُ أنَّكَ مُسْتَجابُ الدَّعْوَةِ ، فادْعُ لنا رَبَّكَ يكْشِفْ عنَّا ما نَحْنُ فيهِ وسوْفَ نُؤْمِنُ بك ، ونَتْرُكُ بنِى إسْرائيلَ يَذْهَبُونَ مَعَك ..

ودعَا نبيُّ اللهِ موسَى رَبَّهُ أنْ يكْشِفَ عنْ فِرعوْنَ وقَوْمِهِ ما حَلَّ بهِمْ مِنَ الضُّرِّ والْعَذابِ ، فاسْتَجابَ اللهُ تعالَى دَعْوَةَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكَشَفَ عَنهُم مَا حلَّ بهِمْ مِنْ ضُرٍّ وعَذابٍ

وعادَتِ الأَرْضُ لتُخْرِجَ مَحاصِيلَهَا مَرَّةً أُخْرى ، لكِنَّ فرْعَوْنَ وقَوْمَهُ لَمْ يؤْمِنوا بمُوسَى ، فَذَكَّرَهُمْ مُوسَى عليه السلام بأَنَّهُمْ وعَدُوهُ أَنْ يُرْسلوا مَعَهُ بَنِى إِسْرَائيلَ ، ولكنَّ الْقَوْمَ تنكَّروا لِوَعْدِهِم ..

وشَدَّدَ اللهُ تعالى على فرعَوْنَ وقَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ فى هذه الْمَرَّةِ أَسْرَابًا كَثيرَةً مِنَ الْجَرَادِ ، فأَكَلَتْ زرْعَهُمْ وثِمَارَهُمْ ، ولَمْ تُبْقِ لهمْ شَيْئًا ، وعادَتِ الْمَجَاعَةُ تعُمُّ الْبلادَ ، لكنَّ الْقَوْمَ لم يُؤْمِنوا ..

وكما حَدثَ مِنْ قَبْلُ لَجأَ الْقَوْمُ إِلى موسَى طالِبينَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ ربَّهُ ،ليَكشِفَ عَنْهُمُ الضُّرَّ ،فدعَا موسَى رَبَّهُ ، فكشَفَ عَنهُمُ الْعَذاب و الْضُّرَّ ، لكنَّهم لم يُؤمِنوا ، ولَمْ يَسْمَحِ الْفِرعوْنُ لِبَنى إِسْرائيلَ بالْخُرُوجِ معَ مُوسَى ..

وشَدَّدَ اللهُ تعالى على فرعَوْنَ وقَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فأَرْسَلَ عَلَيهِمْ فى هذه الْمَرَّةِ « الْقُمَّلَ » فانْتَشَرَ بَيْنَهُمْ وأَصابَهُمْ بالْكَثيرِ مِنَ الأَمْراضِ .. وكما حدَثَ مِنْ قبْلُ لجئوا إِلى موسَى فدعَا مُوسَى رَبَّه ، فكشَفَ تعالَى عَنْهُمُ « الْقُمَّلَ » ورفعَ عَنْهُمُ الْضُّرَّ و الْعَذاب ، لكِنَّهمْ لم يُؤمِنوا ، ولَمْ يَسْمَحِ الْفرعوْنُ لبنِى إِسْرائيلَ بالذَّهابِ معَهُ ..

وشَدَّدَ اللهُ عليهم مَرَّةً أخْرَى ، فأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ فى هذه الْمَرَّةِ الضَّفادِعَ ، فَمَلأَتْ مِياهَ النِّيلِ ومَلأَتِ الأَرْضَ والشَّوَارِعَ والْبُيُوتَ ، وتكَاثرَتْ فى كُلِّ مَكانٍ بشَكْلٍ مُرَوِّعٍ ، فصَاروا إِذا أَحْضروا وعاء فيه ماءٌ ليَشْرَبُوهُ يجدُونَ فيهِ الضَّفادِعَ ، وإِذا جَلَسُوا للطَّعام ، قَفَزَتِ الضَّفَادِعُ فِى طَعَامِهِمْ ، وإِذا نامُوا وَجَدوها فى فِرَاشِهِم .. وكما حدثَ مِنْ قَبْلُ لَجَئُوا إِلى موسَى ، فدعَا ربَّهُ ، فكشَفَ عَنهُمُ الضَّفَادِعَ .. وكما حدَثَ مِنْ قَبْلُ لم يُؤمِنوا ، ولَمْ يَتركوا بَنِى إِسْرائيلَ لِيَذْهبوا معَ موسَى ..

وأخيرًا ابْتلاهُمُ اللهُ تعالَى بأَفْظَع ابْتِلاءٍ ، وهو الابْتِلاءُ بالدَّمِ .. تحوَّلَتْ مياهُ نهْرِ النِّيلِ ، والْمِياهُ الَّتى يَشْرَبُونها إِلى لَوْنِ وطَعْمِ ورائحةِ الدَّمُ ..والدَّم شَيْءٌ كَرِيهٌ لا يُمْكِنُ لإنْسانٍ أَن يَسْتَسِيغَ شُرْبَهُ ، أَو يتحَمَّلَ طَعْمَهُ ومَذاقَهُ .. أَصْبحَ كلُّ مِصْرِىٍّ يَمْلأُ وِعاءَ ماءٍ لِيَشْرَبَهُ ، يتحوَّلُ الْماءُ فى يَدِهِ إِلى دَمٍ ..

وكما حدثَ مِنْ قَبْلُ توسَّلَ الْفِرعَوْنُ وقَوْمُهُ إِلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَرْفَعَ عَنْهُمُ الْضُّرَّ و الْعَذابَ فدعَا موسَى رَبَّهُ ، فكشَفَ عَنْهُم ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وعَذابٍ ، لكنَّ الْقَوْمَ تمادَوْا فى ظُلْمِهِمْ وجَبَرُوتِهِمْ ، ولَمْ يَسْمَحِ الْفِرعَوْنُ لِبَنِى إِسرَائيل بالذَّهابِ مع نَبِيِّهِمْ موسَى ..

ورَفَضَ الْفرعَوْنُ رَفْضًا باتًّا إِطْلاقَ سَرَاحِ بنى إِسْرائيلَ ، أَو السَّماحِ لهمْ بمُغادَرَةِ مِصْرَ .. بل اشْتَدَّ الْفرعَوْنُ فى تَعْذيبِهِمْ ، واشْتَدَّ فى حَرْبِهِ على نبىِّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

الخروج من مصر

أَرْسَلَ اللهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ عَدَدًا مِنَ الآياتِ ، ابْتِلاءً لَهُمْ وتَخْويفًا ، ولكِنَّهُمْ لم يُؤْمِنوا .. وفى كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ يعدُون نبِىَّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنَّهُمْ سَوْفَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وبرِسَالَتِهِ ، وسَوْفَ يَسْمَحُونَ لِبَنِى إِسْرائِيلَ بالذَّهابِ مَعَهُ خارِجَ مِصْرَ ، إِلى الأَرْضِ الَّتِى وَعَدَهُمُ اللهُ بالْهِجْرَةِ إِلَيْها ، وهِىَ فِلَسْطِينُ ..

وفى كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ فِرْعَوْنُ لا يَفِى بِوَعْدِهِ ، حَتَّى رَفَعَ اللهُ ـ تعالَى ـ عَنْهُمْ آخِرَ ضُرٍّ أَصابَهُمْ بِهِ ، فَرَفَضَ فِرْعَوْنُ رَفْضًا تامًّا إِرْسالَ بَنِى إِسْرائِيلَ مَعَ نَبِيِّهِمْ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وأَعْلَنَ فى وَقَاحَةٍ أَنَّهُ إِلَهٌ فى قَوْمِهِ ، وأَنَّ لَهُ مُلْكَ مِصْرَ ، يَتصَرَّفُ فِيهِ وفى كُلِّ مَنْ يَعيشُ عَلَى أَرْضِهِ كَيْفَ يشاءُ ، وأَعْلَنَ أَنَّ مُوسى لَيْسَ إِلَّا ساحِرًا كَذَّابًا ، بِرَغْمِ كُلِّ ما أَيَّدَهُ اللهُ ـ تَعالَى ـ بِهِ مِنْ آياتٍ ومَا أَجْراهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ مُعْجِزاتٍ ..



كَمَا كَرَّرَ فِرْعَوْنُ إِعْلانَهُ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ فَقِيرٌ ، لا يَمْلِكُ حَتَّى أَنْ يَرْتَدِى سِوَارًا وَاحِدًا مِنْ ذَهَبٍ .. بِاخْتِصارٍ اسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ بِعُقُولِ قَوْمِهِ ، فَأَطَاعُوهُ فِى كُفْرِهِ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِين ..

وضَاقَ نَبِىُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِنادِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وتَكْذِيبِهِمْ لَهُ ، وتَعْذِيبِهِمْ لِقَوْمِهِ ، فَدَعَا مُوسَى وأَخُوهُ هارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، بِأَنْ يَطْمِسَ اللهُ ـ تعالَى ـ عَلَى أَمْوالِهِمْ وأَنْ يَشْدُدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلاَ يُؤْمِنُوا ، حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الأَلِيمَ ..

واسْتَجابَ اللهُ ـ تعالَى ـ دُعاءَ مُوسَى و هارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بَلْ وأَذِنَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَصْطَحِبَ بَنِى إِسْرائِيلَ ، ويَخْرُجَ بِهِمْ لَيْلاً ، مُهاجِرِينَ مِنْ مِصْرَ دُونَ عِلْمِ الْفِرْعَوْنِ أَوْ قَوْمِهِ ، ورَغْمًا عَنْهُمْ ..

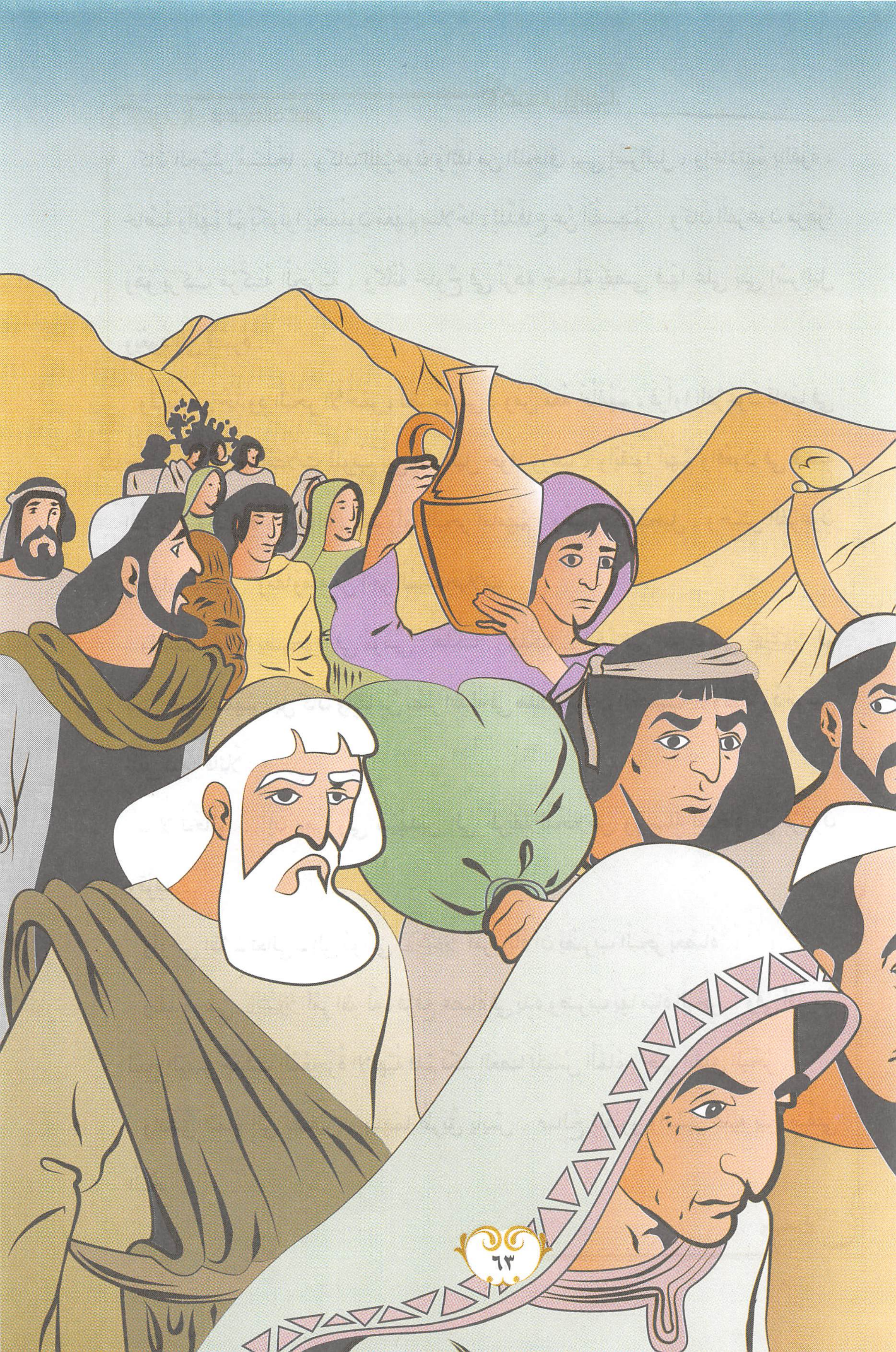
وهَكَذا أَعْلَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ بِالرَّحِيلِ ، حَتَّى يَسْتَعِدُّوا لِلْهِجْرَةِ ..

وفِى الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، واللَّيْلَةِ الْمَوعُودَةِ لِلرَّحِيلِ ، اسْتَأْذَنَ بَنُو إِسْرائِيلَ مِنَ الْفِرْعَوْنِ فِى الْخُرُوجِ إِلى الْخَلاءِ ، لِلاحْتِفالِ بِأَحَدِ أَعْيادِهِمْ ..

ولَمْ يَكُنِ الْفِرْعَونُ ولا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ يُدْرِكُ أَنَّ بَنِى إِسْرائِيلَ سَوْفَ يَفِرُّونَ مَعَ نَبِيِّهِمْ مُوسَى لَيْلاً ، ولِهَذا أَذِنَ لَهُمْ فِى الْخُرُوجِ لِلاحْتِفَالِ ، بِعِيدِهِمُ الْمَزْعُومِ .. وتَجَهَّزَ بَنُو إِسْرائِيلَ ، فَلَبِسُوا أَجْمَلَ ثِيابِهِمْ وحُلِيِّهِمْ ، واسْتَعارُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ حُلِيَّهُمْ لِيَتَزَيَّنُوا بِهَا فِى هَذِهِ الْمُناسَبَةِ الْمَزعُومَةِ ..

وفِى اللَّيلِ سَارَ بِهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَغادَرُوا مِصْرَ ، فِى طَرِيقِهِمْ إِلى شِبْهِ جَزِيرَةِ سَيْناءَ ، الَّتِى سَتُوَصِّلُهُمْ إِلى فِلَسْطِينَ ، حَيْثُ أَمَرَ اللهُ ـ تَعالَى ـ بِالْهِجْرَةِ إِلى هُناكَ ..

عَلِمَ فِرْعَونُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ فَرَّ بِبَنِى إِسْرائِيلَ فِى طَرِيقِهِمْ خارِجَ مِصْرَ ، فَاغْتاظَ غَيْظًا شَدِيدًا ، وقَادَ جَيْشَهُ بِنَفْسِهِ ، لِيَلْحَقَ بِمُوسَى وقَوْمِهِ ، ويُعِيدَهُمْ إِلى مِصْرَ مَرَّةً أُخْرَى ، أَوْ يَقْتُلَهُمْ ..



كَانَ الْجَيْشُ مُسَلَّحًا ، وكَانَ الْفِرْعَونُ وَاثِقًا مِن اللحَاقِ بِبَنِى إِسْرَائيل ، وإِعَادَتِهِمْ بالْقُوَّة ، خَاصَّةً وأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْملُونَ مَعَهُمْ سِلاحًا ، لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ .. وكَانَ الْفِرْعَون مَزْهُوًّا وهُوَ يَرْكَبُ مَرْكَبَتَهُ الْحَرْبِيَّةَ ، وكَأَنَّهُ خَارِجٌ فى نُزْهَةٍ جَمِيلَةٍ يَقْضِى فِيهَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ويَعُودُ إِلى قَصْرِهِ ..

وقَرِيبًا مِن حُدُودِ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ ، نَظَر مُوسَى ، ومَنْ مَعَهُ خَلْفَهُمْ ، فَرَأَوا الْفِرْعَونَ قَادِمًا فى جَيْشِهِ الْجَرَّارِ ، فَامْتَلأَت قُلُوبُ بَنِى إِسْرَائيل خَوْفًا ورُعْبًا ، وأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ وَاقِعُون فى قَبْضَةِ الْفِرْعَونِ وجُنُودِهِ لا مَحَالَةَ ، فَقَدْ رَأَوُا الْبَحْرَ أَمَامَهُمْ ، وعُبُورُهُ مُسْتَحِيلٌ ، وجَيْشُ الْفِرْعَونِ الْجَرَّارُ خَلْفَهُمْ ، ومُقَاوَمَتُهُ مِنْ آخِرِ الْمُسْتَحِيلاتِ ..

ولِذَلِكَ أَخَذُوا يصِيحُونَ في مُوسَى : هَلَكْنَا .. هَلَكْنَا .. لَكِنَّ نَبِيَّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِثْلَهُمْ ، بَلْ كَانَ وَاثِقًا مِن نَصْرِ اللهِ لَهُ فى هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ .. ولِهَذَا رَدَّ مُوسَى عَلَى قَوْمِهِ قَائِلاً :

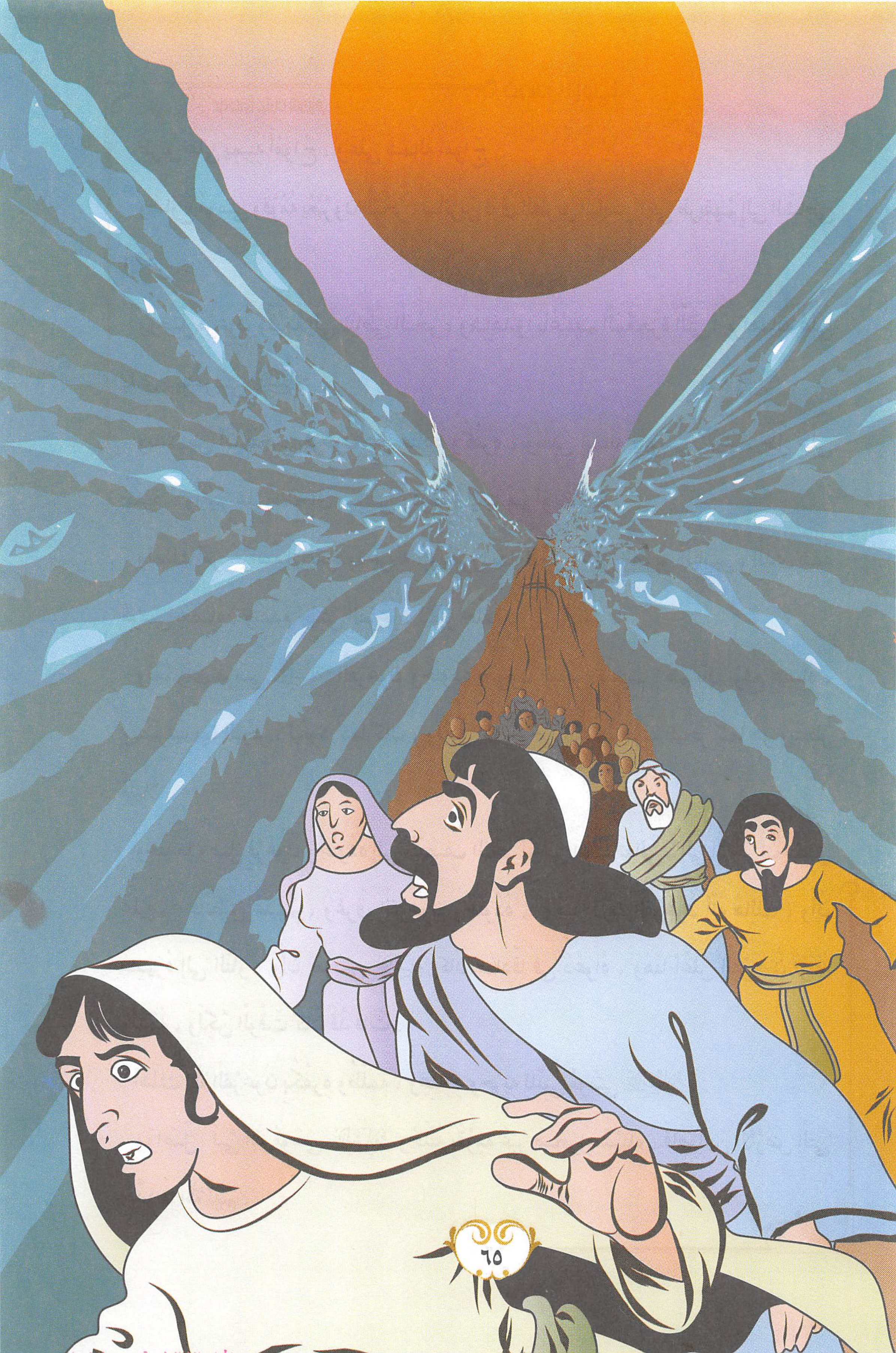
ـ لا تَخَافُوا .. إِنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ إِلى طَرِيقَةٍ لِلْخَلاصِ ووَسِيلَةٍ لِلنَّجَاةِ مِن فِرْعَونَ وقَوْمِهِ ..

وأَوْحَى اللهُ ـ تَعَالَى ـ إِلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آمِرًا إِيَّاهُ أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بعَصَاهُ ..

ونَفَّذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَ اللهِ لَهُ ، فَرَفَعَ عَصَاهُ فى يَدِهِ وضَرَبَ بِهَا مِيَاهَ الْبَحْرِ .. وفى أَقَلَّ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ حَدَثَت الْمُعْجِزَةُ الإِلَهِيَّةُ فَلَمْ تَكَدِ الْعَصَا تَلْمسُ الْمَاءَ ، حَتَّى انْفَلَقَ الْبَحْرُ ..

وانْشَقَّ الْمَاءُ إِلى نِصْفَيْنِ ، بَيْنَهُمَا طَرِيقٌ يَابِسٌ ، صَالِحٌ لِلْعُبُورِ والسَّيْرِ عَلَيْه بَيْنَ ضَفَّتَيِ الْبَحْرِ ..





طَرِيقٌ عَلى يَمِينِهِ أَمْواجٌ ، وعَلى شِمالِهِ أَمواجٌ ..

وسَارَعَ مُوسى وقَوْمُهُ يَعْبُرُونَ الْبَحْرَ ، سَائِرِينَ فَوْقَ الطريقِ الْيَابِسِ ، فى طَرِيقِهِمْ إِلى الشَّاطِئِ الآخَرِ ..

ووصَلَ فِرْعَون وقَوْمه إِلى شاطِئِ الْبَحْرِ ، وشَاهَدُوا بأَعْيُنِهِم الْمُعْجِزَة الَّتى أَجْرَاهَا اللهُ عَلى يَدى نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وبَدَلاً مَنْ أَنْ يَتَخلَّى فِرْعَونُ عَنْ عِنادِهِ وكُفْرِه ، ويُعْلِنَ إِيمانَهُ بمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَلَّ عَلَى كُفْرِهِ ، وأَصَرَّ عَلى اللَّحَاقِ بمُوسَى وقَوْمِهِ ؛ لِيُعِيدَهُمْ أَوْ يَقْتُلَهُمْ ..

ولِذَلِكَ أَمَرَ حُرَّاسَهُ أَنْ يَقُودُوا عَرَبَتَهُ ، ويَعْبُرُوا بِهَا الْبَحْرَ ، عَلَى الطَّرِيقِ الْيَابِسِ ، الَّذى شَقَّهُ مُوسَى بِعَصَاهُ ، وتَقَدَّمَ جَيْشُ الْفِرْعَونِ لِيَعْبُرَ خَلْفَهُ ..

ولَمَّا رَأَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْفِرْعَونَ وجُنُودَهُ يَعْبُرُونَ الْبَحْرَ خَلْفَهُمْ ، هَمَّ بأَنْ يَرْفَعَ عَصَاهُ ، ويَضْربَ بِهَا الْبَحْرَ ؛ لِيَعُودَ كَمَا كَانَ ، ولَكِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْبَحْرَ كَمَا هُوَ ويَنْتَظِرَ قَلِيلاً ..

وعِنْدَمَا وَصَلَ فِرْعَوْنُ وجُنُودُهُ إِلى مُنْتَصَفِ الْبَحْرِ أَوْحَى اللهُ ـ تَعالَى ـ إِلى الْبَحْرِ أَنْ يَنْطَبِقَ عَلَيْهِمْ ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، وغَرِقَ الْفِرْعَونُ وجُنُودُهُ .. وهُنَا أَدْرَكَ الْفِرْعَونُ أَنَّهُ هَالِكٌ ، وأَنَّ مَصِيرَهُ إِلى النَّارِ ، وأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ صَادِقًا فى دَعْوَاهُ ، وهُنَا أَعْلَنَ الْفِرْعَونُ تَوْبَتَهُ ونَدَمَهُ ، ولَكِنَّ الْوَقْتَ كَانَ قَدْ فَاتَ ..

أَهْلَكَ اللهُ الْفِرْعَون بِكُفْرِهِ وظُلْمِهِ ، وعِنَادِهِ وحَرْبِهِ لِلنَّبى مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ووَاصَلَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِحْلَتَهُ بِقَوْمِهِ عَبْرَ صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ ، قَاصِدِينَ الأَرْضَ الَّتى حَدَّدَهَا اللهُ لَهُمْ ..



وفى الطَّرِيقِ مَرَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ مِنْ دُونِ اللهِ - تَعَالَى - فَطَلبوا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ صَنمًا يَعْبُدُونَهُ ، مِثْلَمَا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ أَصْنامَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى ..

نَسِيَ بَنُو إِسْرائيلَ أَنَّ اللهَ - تعالَى - قَدْ أَرْسَلَ لَهُمْ نَبِيَّهُمْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَات ، وَأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَد جَاءَ لِيأْمُرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ - تَعَالَى - وَحْدَهُ ، وعَدَمِ الإِشْرَاك بِهِ ..

ولِذَلِكَ حَاوَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرُدَّهُمْ إِلى الصَّوَابِ ، وَأَنْ يُخرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ ، فَقالَ لَهُمْ : إِنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ مشْرِكُونَ ، و إِنَّ ما يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ بَاطِلٌ ..

وبَيَّنَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللهَ الَّذِى أَنْجَاهُمْ مِنْ تَعْذِيبِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ هُوَ الأَحَقُّ بِالْعِبادَةِ ، والْخُضوعِ والسُّجُودِ والرُّكُوعِ .. أَلَيْسَ هُوَ سُبْحَانَهُ ، الَّذى شَقَّ لَهُمْ طَرِيقًا فى الْبَحْرِ ، فَأَنْجَاهُمْ وأَغْرَقَ عَدُوَّهُمْ ؟! أَلَمْ يَكُنِ الْفِرْعَونُ يُسَخِّرُهُمْ ويَسْتَذِلُّهُمْ ، فَأَطْلَقَ اللهُ سَرَاحَهُمْ ؟!

وأَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَدِّدُ لَهُمْ نِعَمَ اللهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَقْنَعَهُمْ بِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْجَدِيرُ بِالْعِبَادَةِ ..

ووَاصَلَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِحْلَتَهُ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، فى صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ ..

وقَدْ كَانَتْ سَيْنَاء فى ذَلِكَ الْوَقْتِ صَحْرَاءَ قَاحِلَةً لا زَرْعَ فِيهَا ولا مَاء ، ولا طَعَامَ أَوْ شَجر يَقِى مِنْ حَرارَةِ النَّهارِ أَوْ بَرْدِ اللَّيْلِ .. فَمِنْ أَيْنَ سَيَأْكُلُ كُلُّ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ؟! ومِنْ أَيْنَ سَيَشْرَبُونَ ؟!

وكَيْفَ يَسْتَظِلُّونَ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ ؟!

لَقَدْ مَنَّ اللهُ - تَعَالَى - عَلَى بَنِى إِسْرائِيلَ ، فَأَرسَلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ (وهُوَ السَّحَابُ الثَّقِيلُ) لِيُظَلِّلَهُمْ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ .. وأَرْسَلَ لَهُم الْمَنَّ (وهُوَ مَادَّةٌ حُلْوَةُ الْمَذَاقِ ، تُفْرِزُهَا أَشْجَارُ الْفَاكِهَةِ) لِيَأْكُلُوهَا ..

كَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طَائِرَ « السَّلْوَى » لِيَتَغَذَّوْا عَلَى لَحْمِهِ ..

وسَهَّلَ لَهُمُ اللهُ صَيْدَ هَذِهِ الطُّيُورِ ، فَكَانَتْ تَقَعُ أَمَامَهُمْ بالآلافِ ، وكَانُوا يُمْسكُونهَا بِسُهُولَةٍ ..

ولَمَّا اشْتَدَّتْ بِهِمُ الْحَاجَةُ إِلى الْمَاءِ ، ولَمْ يَجِدُوا مَا يشْرَبُونَه أَوْ يَغْتَسِلُونَ بِه ، ويَغْسِلُون ثِيَابَهُمْ ، أَمرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بعَصَاهُ الصُّخُورَ ، فَانْفَجرَتْ مِنْها ينَابِيعُ الْمَاءِ الْعَذْبِ ، وكَانَ بَنُو إِسْرائِيلَ فى ذَلِكَ الْوَقْتِ يَنْقَسِمُونَ إِلى اثْنَتَىْ عَشْرَةَ فِرْقَةً أَوْ مَجْمُوعَةً ، فَأَصْبَحتْ لِكُلِّ فِرْقَةٍ عَيْنُ مَاءٍ ، تأْخُذُ مِنْها مَا تَشَاءُ ..

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ بَنِى إِسْرائِيلَ غَايَةَ الإِكْرَامِ ، وأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ كَثِيرًا .. وبِرَغْمِ ذَلِكَ فَإِنَّ بَنِى إِسْرائِيلَ بَدَلاً مِنْ أَن يَشْكُرُوا اللهَ ويَحْمَدُوهُ عَلَى نِعَمِه ، رَاحُوا يَحْتَجُّونَ عَلَى مَعِيشَتِهِمْ ، ويَشْكُونَ لِنَبِيِّهِمْ مُوسَى ، أَنَّهُمْ قَدْ مَلُّوا هَذِهِ الأَنْوَاعَ مِنَ الطَّعَامِ ، وطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ رَبَّهُ لِيُخرِجَ لَهُمْ مِنْ بَاطِنِ الأَرْضِ أَطْعِمَةً جدِيدَةً ، غَيْرَ الْمَنِّ والسَّلْوَى ..

وقَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يأْكُلُوا الْفُولَ والْعَدَسَ والْبَصَلَ والثُّومَ ، وغَيْرَهَا مِنَ الأَطْعِمَةِ ، الَّتِى يأْكُلُونَهَا فى مِصْرَ ، عِنْدَمَا كَانُوا مُسَخَّرِينَ فى خِدْمَةِ الْفِرْعَونِ وقَوْمِهِ ..

فَعَاتَبَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا يَطْلُبُونَهُ ، مُتَعَجِّبًا مِنَ اسْتِبْدَالِ هَذِهِ الأَنْوَاعِ الرَّخِيصَةِ مِنَ الأَطْعِمَةِ بِالْمَنِّ والسَّلْوَى ، وهُمَا أَفْضَلُ مِنْهَا ..

ثُمَّ أَمَرَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ هَذِهِ الأَطْعِمَةَ أَنْ يَدْخُلُوا بَلَدًا مِنَ الْبُلْدَانِ لِيَحْصُلُوا عَلَيْهَا ..

قَالَ تَعَالَى :

﴿ وإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وقِثَّائِهَا وفُومِهَا وعَدَسِهَا وبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾



الوصايا العشر

أَمَرَ اللهُ ـ تعالَى ـ نبيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسِيرَ بِقَوْمِهِ بنى إِسْرائيلَ ؛ لِيَدْخُلوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فى فِلَسْطِين..

وكانَتِ الأَرْض الْمُقَدَّسَةُ فى ذلكَ الْوَقْت يَسْكُنُهَا قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الأَصْنامَ ، ويُشْرِكُونَ بِاللهِ ـ تعالَى ، فأَمَر اللهُ بَنِى إسْرائيلَ بِدُخُولها ، وَقِتَالِ مَنْ فِيها مِن عَبَدَةِ الأَوْثَانِ ..

ولكنَّ بَنِى إِسْرائيلَ كانُوا قَوْمًا أَذِلَّاءَ مُستَضْعَفِينَ تَعَوَّدُوا على الذُّلِّ والْهَوَانِ وتَسْخِير الْفِرْعَوْنِ والْمِصْرِيِّينَ لهمْ لِسَنواتٍ طَويلَةٍ ..

ولهذا جَبُنُوا عَنِ الْقتالِ ، ورَفضُوا دُخُولَ الأَرْض الْمُقَدَّسَةِ الَّتى أَمَرهُمُ اللهُ بِدُخولِها ..

وحاوَلَ نَبِىُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَثَّهُمْ على الْقِتالِ ، فذَكَّرَهُمْ بِنعَمِ اللهِ الْكَثيرةِ عَلَيْهِمْ ؛ حيْثُ جَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ ، و جَعَلَهُمْ مُلُوكًا بَعْدَ هَلاكِ عَدُوِّهِم الْفِرْعَوْنِ ..

وكانَ رَدُّ بَنِى إِسْرائيلَ علَى نَبِيِّهِمْ ، هو أَنْ قالوا لهُ :

ـ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ، وَنَحْنُ لنْ نَدْخُلَ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، الَّتى تأْمُرُنا بِدُخولِها ، حتَّى يَخْرُجَ مِنْها هؤُلاءِ الْقَوْمُ الْجَبَّارُونَ .. إذا كُنْتَ تُرِيدُ دُخُولَ هَذهِ الأَرْضِ يا موسَى فاذْهَبْ أَنْت وَرَبُّكَ فقَاتِلا ..

فسَأَلَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

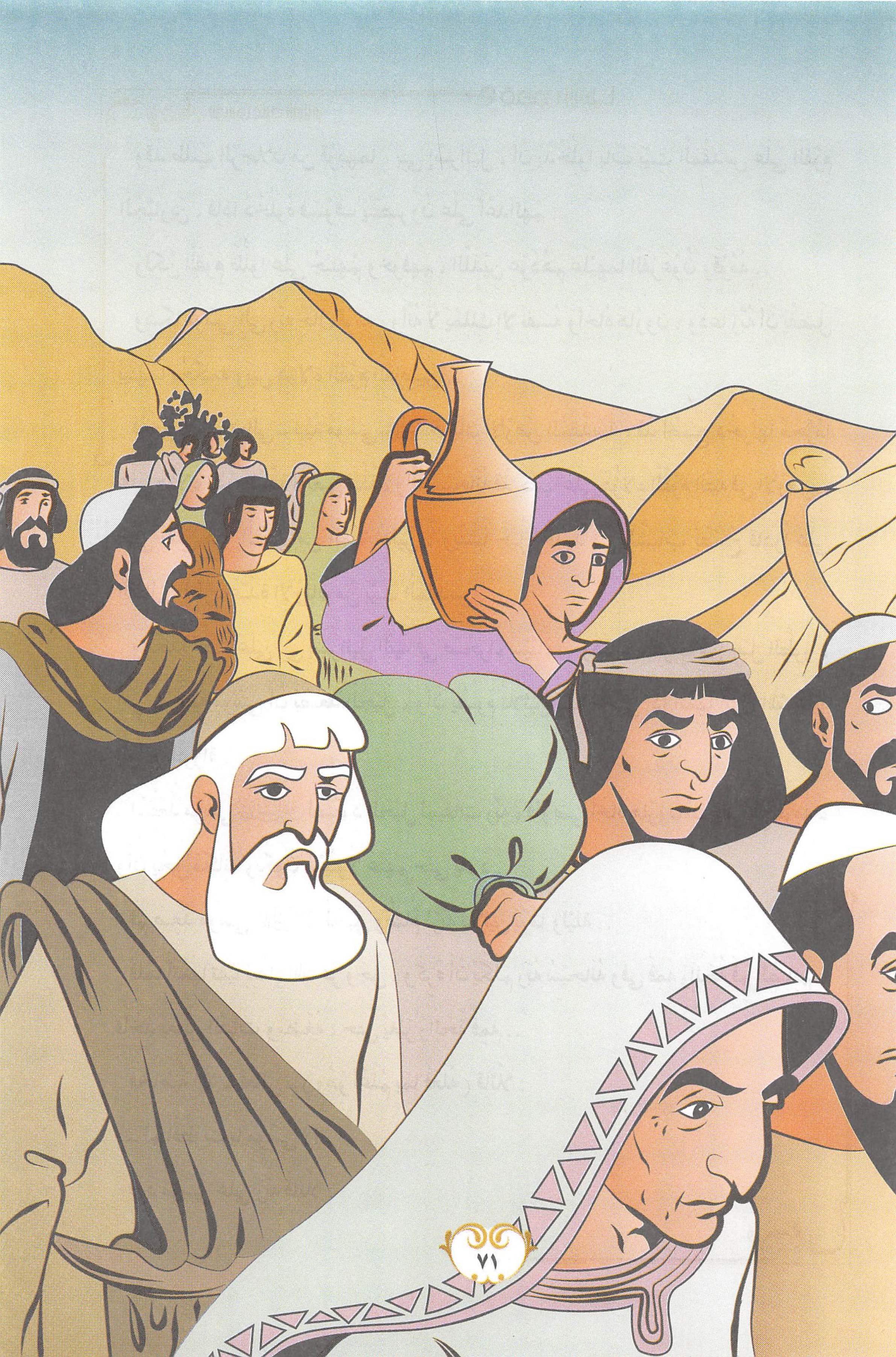
ـ وأَنْتُمْ ماذَا سَتَفْعَلُونَ ؟!

فقالُوا له :

ـ نَحْنُ ها هُنا قَاعِدُون ..

ولَمْ يَجِدْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ هوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْقِتالِ مِنْ قَوْمِهِ ، سِوَى رَجُلَيْنِ فَقَطْ ..





وقَدْ طلبَ الرَّجلانِ من قَوْمِهما ، بَنِى إِسْرائيلَ ، أَنْ يَدْخُلُوا بابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ على الْقَوْمِ الْجَبَّارِينَ ، فإِذا دَخلُوهُ فسَوْفَ يَنْتَصِرونَ على أَعْدائِهِمْ ..

ولَكِنَّ الْقَوْمَ ظَلُّوا على جُبْنِهِمْ وخَوْفِهِمْ ، اللَّذَيْنِ عَوَّدَهُم عليْهِما الْفِرْعَوْنُ وقَوْمُه ..

وشَكَا موسَى إلى رَبِّه حَالَ قَوْمِه ، وأَنَّهُ لا يَمْلِكُ إلا نَفسَهُ وَأَخاهُ هارُونَ ، ودَعا رَبَّهُ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَهُما بِحُكْمِهِ وبَيْنَ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ الْعَاصِينَ ..

فأَخبرَ اللهُ ـ تعالَى ـ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنَّ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، قدْ أَصْبَحَ دُخُولُها مُحرَّمًا علَى هؤُلاءِ الْقَوْمِ لِمُدَّةِ أَرْبَعينَ سَنَةً ، وأَنَّهُ سُبْحانَهُ قدْ كَتَبَ علَى هؤُلاءِ الْقَوْمِ التِّيهَ فى الأَرْضِ ، حَتَّى يَفْنَى هذا الْجِيلُ مِنَ الْمُتخاذِلينَ ، ويَنْشأَ جيلٌ جَديدٌ مِنَ الشَّبابِ يُصْبِحُ قادِراً على الْقِتالِ ، لِطَرْدِ عَبَدَةِ الأَوْثانِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

وهكَذا كُتبَ على بَنِى إِسْرائيلَ التِّيهُ فى صَحْراءِ سَيْناء .. وهُناكَ بالْقُرْبِ مِنْ جَبَلِ الطُّورِ ، أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُوسَى أَنْ يَصْعَدَ الْجَبَلَ ، وأَنْ يَصُومَ ثَلاثِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى إِذا أَتَمَّها أَنْزَلَ اللهُ عليْهِ أَلْوَاحَ التَّوْرَاةِ ..

اسْتَعَدَّ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصُعُودِ الْجَبَلِ لِميقَاتِ رَبِّهِ ، فأَوْصَى أَخاهُ هارُونَ أَنْ يَبْقَى مَعَ قَوْمِهِ ، وأَنْ يَحُلَّ مَكانَهُ ويكُونَ مَسْئُولاً عَنْهُمْ حتى يَعُودَ ..

ثم صَعِدَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَبَلَ وصَامَ لِرَبِّهِ ثَلاثِينَ يَوْمًا ولَيْلَة ..

فلَمَّا أَتَمَّها تَهيَّأَ لِلِقاءِ اللهِ عزَّ وجَلَّ ، وكَرِهَ أَنْ يُكَلِّمَ رَبَّهُ سُبْحانَهُ وفى فَمِهِ رَائِحَةُ فَمِ الصَّائِمِ ، فأَخَذَ بَعْضَ النَّباتِ ومَضَغَهُ ، حتى يُغَيِّرَ رَائِحَةَ فَمِه ..

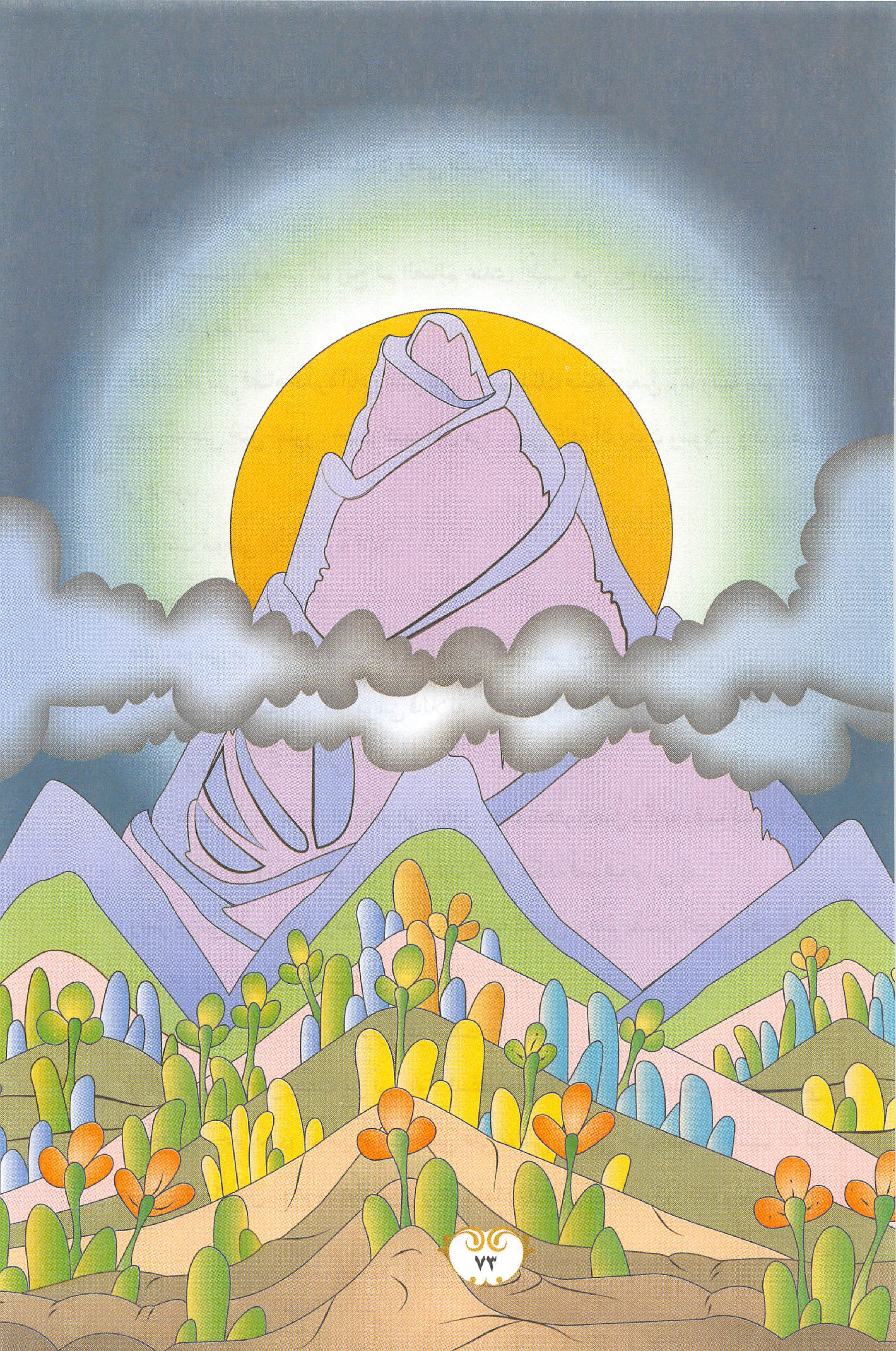
فخاطَبَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ (وهُوَ أَعْلَمُ بما فَعَلَه) قائلًا :

ـ لِمَ أَفْطَرْتَ يا مُوسَى ؟!

فَرَدَّ موسَى على رَبِّهِ قَائِلًا :







ـ أَىْ رَبُّ ، كَرِهْتُ أَنْ أُكَلِّمَكَ إِلَّا وفَمِى طَيِّبُ الرِّيحِ ..

فقالَ اللهُ ـ تعالَى :

ـ أَمَا علِمْتَ يا مُوسَى أَنَّ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِى أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ؟! ارْجِعْ فَصُمْ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ ائْتِنِى ..

فذَهَبَ موسَى فصَامَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ وعَشْرَ لَيَالٍ ، فأَتَمَّ بذلِكَ صِيامَ أَرْبَعين يَوْمًا ولَيْلَةً ، ثم ذَهَبَ لِلِقاءِ رَبِّهِ على جَبَلِ الطُّورِ ، حَيْثُ كلَّمَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، حينَ كَلَّفَهُ أَنْ يكُونَ رَسُولًا ، وأَنْ يذْهَبَ إِلى فِرْعَوْنَ ..

وخاطَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ قائلًا :

﴿ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ ..

طلَبَ مُوسَى مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحانَهُ ، أَنْ يُمَكِّنَهُ مِن النظرِ إِليه ورؤيته ..

وخاطَبَ الْمَوْلَى سُبْحانَهُ نَبِيَّهُ مُوسَى قائلًا لهُ : إِنَّهُ لَنْ يَراهُ ؛ لأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ لن يَسْتَطيعَ الصُّمُودَ لِرُؤْيَةِ نُورِ اللهِ ـ تعالَى ..

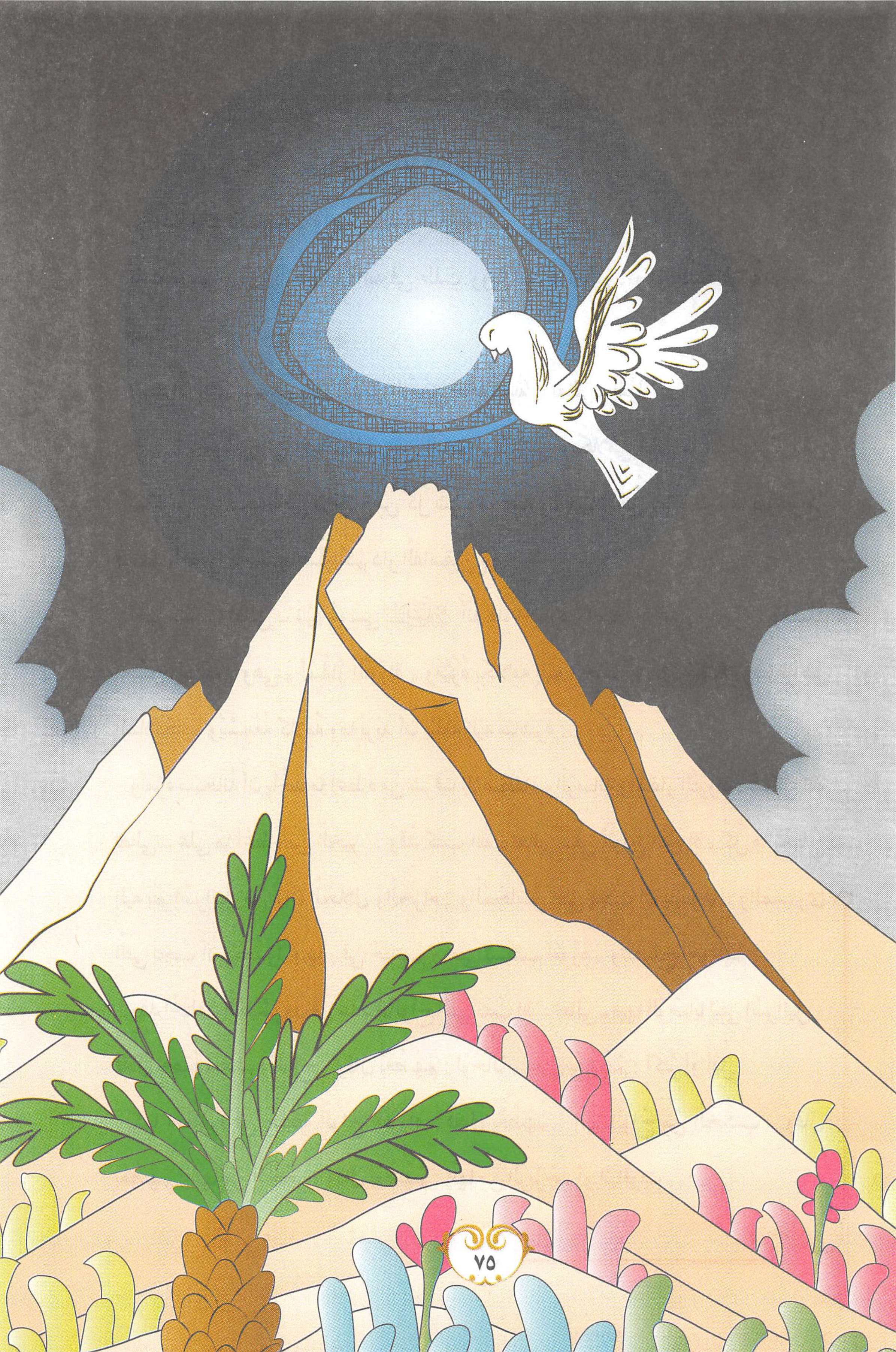
وأَمَرَ اللهُ ـ تعالَى ـ موسَى أَنْ يَنْظُرَ إِلى الْجَبلِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ الْجَبَلُ مَكانَهُ ، فَسَوْفَ يَراهُ ..

﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى ﴾ ..

ونَظَرَ موسَى إِلى الْجَبَلِ وتَجَلَّى الْمَوْلَى سُبْحانَهُ لِلْجَبَلِ ، فلَمْ يَصْمُدِ الْجَبَلُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ وشُمُوخِهِ وصلابَتِهِ لِنُورِ اللهِ ـ تعالَى ..

تَحَطَّمَ الْجَبَلُ وانْهارَ ، مِنْ شِدَّةِ نُورِ اللهِ ورَهْبَتِهِ ..

ورأَى موسَى الْجَبَلَ يَتَفَتَّتَ مِنْ نُورِ اللهِ ، فَسَقَطَ على الأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .. صُعِقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا أَحَدَ يَدْرِى كَمْ مِنَ الْوَقْتِ مَضَى على مُوسَى وهوَ فى حالَتِهِ هذه .. الْمُهِمُّ أَنَّهُ لم يَصْمُدْ لِرُؤْيَةِ الْجَبَلِ ، وهو يَتحطَّمُ منْ نُورِ اللهِ ، فما بَالُكَ لَوْ رَأَى اللهَ ، كما كانَ يُرِيدُ ؟!



وأفاق مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن الصَّعْقِ ، فدعَا رَبَّهُ قائِلًا :

﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وأنا أَوَّلُ الْمُؤْمنينَ ﴾

تابَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن اندفاعِه فى طَلَبِ رؤْيَةِ اللهِ ـ تعالَى ، وهو طَلَبٌ لا يَقْدِرُ على احْتِمالِهِ ..

وبَعْدَ أنْ أفاقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الصَّعْقِ خاطَبَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِقَوْلِه :

﴿ ... يا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ علَى النَّاسِ بِرِسَالاتِى وَبِكَلامِى فَخذْ مَا آتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنا لَهُ فى الأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً وَتفْصِيلًا لِكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ..

أَخْبَرَ اللهُ ـ تعالَى ـ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قدِ اخْتارَهُ واصْطَفاهُ على النَّاسِ ، وفَضَّلَهُ بِحَمْلِ رِسالَتِه ، وهى « أَسْفَارُ التَّوْرَاةِ » ومَيَّزَهُ بِكَلَامِهِ إِلَيْه ؛ حَيْثُ يُوحِى إِلَيْه بلا وَساطَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، ويُسْمِعُهُ كَلَامَهُ وما يُرِيدُ أَنْ يُبْلغَهُ إِلَيْه مُبَاشَرَةً ..

وأَمَرَهُ سُبْحانَهُ أَنْ يأْخُذَ مَا أَعْطاهُ مِنْ شَرَفِ الاصْطِفَاءِ والرِّسَالَةِ وأَسْفارِ التَّوْرَاةِ ، شاكِرًا اللهَ تعالَى ـ علَى مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْخَيْرِ .. وقدْ كتَبَ اللهُ ـ تعالَى ـ فى أَلْواحِ التَّوْرَاةِ ، كُلَّ ما يَحْتَاجُ إِلَيْه بَنُو إِسْرائِيلَ مِنْ بَيَانِ الْحَلالِ والْحَرامِ ، والْمَحَاسِنِ الَّتى يجِبُ أَنْ يَتَّبِعُوها ، والْمَسَاوِئِ الَّتى يجبُ أَنْ يَبْتَعِدُوا عَنْها ، فى حَيَاتِهِمْ ؛ حتى تَسْتَقِيمَ أُمُورُهُمْ وتَنْصَلِحَ أَحْوالُهُمْ ..

وقدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فى عَدَدِ الأَلْواحِ الَّتى كَتَبَ اللهُ ـ تعالَى ـ فيها الْوَصَايَا لِبَنِى إِسْرائِيلَ ، فقالَ بَعْضُهُمْ عشرةُ أَلْواحٍ ، وقالَ بَعْضُهُمْ : لوْحَانِ ، وقالَ بعْضُهُمْ : أَكْثَرُ أَوْ أَقَلُّ ..

كما اخْتَلَفُوا فى حَقِيقَةِ أَلْواحِ التَّوْرَاةِ ، فقالَ بعْضُهُمْ : إِنَّها أَلْواحٌ مِنَ الْخَشَبِ ، وقالَ بعْضُهُمْ : إِنَّها مِنَ الْحَجَرِ ، وقالَ بعْضُهُمْ : إِنَّها مِنَ الزَّبَرْجَدِ أَوِ الْيَاقُوتِ ..



وقدْ أمر اللهُ ـ تعالَى ـ نَبيَّهُ مُوسَى عليه السلام أنْ يأمُرَ بَنِى إسْرائيلَ أنْ يَتَّبِعوا الْمَواعِظَ والأحْكامَ والْوَصايا الْمَكْتُوبَةَ فى الألْواحِ ، وأنْ يأخُذُوا بأحْسَنِ وأفْضَلِ ما فيها فيَسيرُوا عليْه ، وأنْ يفْعَلوا ما فِيهِ تَقرُّب إلى اللهِ أكْثَرَ مِنْ غَيْرِه ، فإنْ كانَ فيها عَملانِ مِنْ أعْمالِ الْخَيْرِ يُقرِّبانِ إلى اللهِ ـ تعالَى ، وأحَدُ الْعَمَلَيْنِ يُقرِّبُ إلى اللهِ أكْثَر ، وثوابُهُ أكْبَرُ ، فعلَيْهِمْ أنْ يأخُذُوا بهِ ويَعْمَلُوهُ ، وإنْ كانَ كُلٌّ مِنَ الْعَمَلَيْنِ خيرًا ..

ثمَّ وعدهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ أنْ يُرِيَهُمْ دارَ الْفَاسِقِينَ .. وقدِ اخْتلَفَ الْمُفسِّرونَ فى تَحْدِيدِ الْمَقْصُودِ بدَارِ الْفَاسِقِينَ ، التى سَيُرِى اللهُ بَنِى إسْرائِيلَ إيَّاها ..

فقالَ بعْضُهُمْ : إنَّ الْمَقْصودَ بها مَنازِلُ قَوْمِ عادٍ ، وقالَ بعْضُهُمْ : إنَّها دِيارُ قَوْمِ ثَمودَ ، وقالَ بعْضُهُمْ : إنَّها الأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ ، وقدْ كانَ يَسْكُنُها الْقَوْمُ الْجَبَّارُونَ مِنْ عَبَدَةِ الأَصْنامِ ، والَّتى لَمْ يَدْخُلْها مُوسَى عليه السلام ، ولا دَخلَها قَوْمُهُ فى حَياتِه ، وإنَّما دَخلوها بَعْدَ وَفاتِهِ ، مع نَبِيِّهِمْ « يُوشَعَ بْنِ نون » صاحِبِ مُوسَى عليه السلام ، بعْدَ أنِ انْتهَتْ سَنواتُ التِّيهِ الأَرْبَعُون ، التى كَتَبها اللهُ علَى الْكِبارِ مِنْ بَنِى إسْرائيلَ ..

وقد تَضمَّنَتِ التَّوْراةُ أوِ الْوَصايَا الْعَشْرُ هذه الْوَصايا :

ـ الأمْرُ بِعبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وعَدَمُ الإِشْراكِ به .

ـ النَّهْىُ عنِ الْحلِفِ باللهِ ـ تعالَى ـ كذِبًا .

ـ الأمْرُ بالْمُحافَظَةِ على السَّبْتِ ، وجَعْلُ هذا الْيَوْمِ مُخصَّصًا لِلعِبادَةِ ، فلاَ يَعْمَلُ فيهِ بَنُو إسْرائيلَ عَملًا مِنْ أعْمالِ الدُّنْيا .

ـ الأمْرُ بإكْرامِ الْوَالِدَيْنِ والإحْسانِ إلَيْهِما .

ـ مَعْرِفَةُ أنَّ اللهَ وحْدَهُ هو الذى بِيَدِهِ الْعَطاءُ والرِّزْقُ .

ـ عَدَمُ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتى حرَّمَ اللهُ قتْلها إلَّا بالْحَقِّ .



ـ عَدَمُ السَّرِقَةِ .

ـ حِفْظُ الْفَرْجِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ .

ـ عَدَمُ شَهَادَةِ الزُّورِ .

ـ عَدَمُ النَّظَرِ إِلى الأَشْياءِ الَّتى مَنَحها اللهُ لِلآخَرِين ، وعَدَمُ حَسَدِهِمْ عَلَيْها ..

وانْتَهى بذلِكَ مِيقاتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَبِّه سُبحانَهُ ، فَحَمَلَ أَلْواحَ التَّوْراةِ ، وهمَّ عائِدًا بها إِلى قَوْمِه ..

وعَلِمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَبِّه قَبْلَ أَنْ يُغادِرَ جَبَلَ الطُّورِ ، أَن قَوْمَهُ قَدْ ساءَتْ حالُهُمْ بعْدَ رَحِيلِه عَنْهُمْ ، وصُعُودِهِ الْجَبَلَ ، فقدْ فَتَنَهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ مِنْ بَعْدِهِ ، وأَضَلَّهُمْ شَخْصٌ يُدْعى باسْمِ « السَّامِرِيِّ » ..

قال تعالى :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفًا ﴾ ..

فَما حَقِيقَةُ الْفِتْنَةِ التى أَصابَ اللهُ ـ تعالَى ـ بِهَا بَنِى إِسْرائيلَ بعْدَ رَحِيلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُمْ ؟ ومَنْ هوَ السَّامِرِىُّ ؟ وكَيْفَ أَضَلَّ قَوْمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ ؟

فتنة السامرى

غادَرَ نَبِى اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَبَلَ الطُّورِ حامِلاً أَلْواحَ التَّوْراةِ ، وعائِدًا إِلى قَوْمِه ، وقَدْ مَلأَهُ الْغَضَبُ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ ، بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ اللهِ ـ تعالَى ـ أَنَّ السَّامِرِىَّ قَدْ أَضلَّهُمْ ، فى أَثْناءِ غَيْبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ رَحِيلِهِ عَنْهُمْ ، وصُعُودِهِ الْجَبَلَ لِمِيقاتِ رَبِّه ، كانَ قدْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ غَيْبَتَهُ عَنْهم لَنْ تَطُولَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ يَوْمًا ..





فلمّا أمر اللهُ ـ تعالَى ـ مُوسَى عليه السلام أَنْ يُواصِلَ صِيامَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ ، اسْتَبْطأَ الْقَوْمُ عَوْدَتَه ، وتملَّكَهُمُ الْيَأْسُ ، ورُبَّما ظَنَّ بَعْضُهُم أَنَّه لنْ يعودَ ثانيةً ..

وانْتَهَزَ رَجُلٌ يُقالُ له « السَّامِرِيُّ » فُرْصَةَ غَيْبَةِ مُوسَى عليه السلام وجمعَ مِنْ بنى إِسْرائيلَ الْحُلِيَّ الذَّهَبِيَّةَ ، التى كَانوا قَدِ اسْتَعَارُوها مِنَ الْمِصْرِيِّينَ يوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ ، لِلاحْتِفالِ بعيدِهِم الْمَزْعُومِ .. فلمَّا أَنجاهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ مِنَ الْفِرْعَوْنِ أَصْبَحتْ كُلُّ هذِه الْحُلِيِّ مِلْكًا لهُمْ ..

وصَهَرَ السَّامِرِيُّ هَذا الذَّهَبَ ، وصَنَعَ مِنْهُ عِجْلاً مُجَوَّفًا مِنَ الدَّاخِلِ ، وجعلَ فِيهِ فَتْحَةً فى الْخَلْفِ ، وفَتْحةً فى فمِهِ ، بِحَيْثُ إِذا دخلَ الْهواءُ مِنَ الْفَتْحَةِ الْخَلْفِيَّةِ ، وخرَجَ مِنَ الْفَتْحَةِ الأَمامِيَّةِ أَصْدرَ صَوْتًا يُشْبهُ خُوارَ الْعُجُولِ الْحَقِيقِيَّةِ ..

وقال السَّامِرِيُّ لِبَنِى إِسْرائيلَ ، بَعْدَ أَنْ أَتمَّ صُنْعَ الْعِجْلِ :

ـ هذَا هوَ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ..

وعَبَدَ بَنُو إِسْرائيلَ الْعِجْلَ ، بدلاً مِنْ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ ـ تعالَى ـ ..

نَسى بَنُو إِسْرائيلَ أَنَّ اللهَ قدْ أَنْجاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، ومِنْ تَعْذِيبِهِمْ لهُمْ ، وأَنَّهُ سُبْحانَهُ قد أَجْرَى على يَدَىْ نَبِيِّهِم مُوسَى عليه السلام الْكَثِيرَ مِنَ الْمُعْجِزاتِ ، وأَنَّهُ ما كانَ يَجِبُ أَنْ يَعْبُدُوا سِواهُ ، سُبْحانَهُ .. ولَمْ يكُنْ ذلك جَديدًا علَيْهِمْ ، فقدْ سَبَق ورَأَوْا قَوْمًا يَعْبُدُونَ الأَصْنامَ ، وطَلَبوا مِنْ مُوسَى عليه السلام أَنْ يجْعَلَ لَهُمْ صنمًا يَعْبُدونَهُ ..

كما أَنَّهمْ كانوا مُتأَثِّرين بِعبادَةِ الْمِصْرِيِّينَ لِلْعِجْلِ أَبِيسَ .. ولِهذا ما إِنْ قدَّمَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ الْعِجْلَ الذى صَنَعَهُ بِيدَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ ، وسَمِعُوا خُوارَهُ ، حتى الْتَفُّوا حَوْلَهُ وراحوا يُؤَدُّونَ له شَعائِرَ وطُقُوسَ الْعِبادَةِ ..

وانْتَشَرَتْ عِبادَةُ الْعِجْلِ بيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ ، وصارَ أَغْلَبُهُمْ يَعْبُدونَ الْعِجْلَ ، بيْنَما ظلَّتْ قِلَّةٌ قليلَةٌ مِنْهُمْ على إِيمانِهِمْ بِاللهِ ..

فلمّا رأى هارونُ أنَّ فِتنَةَ السَّامِرِىِّ قَدِ انْتَشَرَتْ بينَ بَنِى إسْرائيلَ حاولَ مَنْعَهُمْ عن عِبادَةِ الْعِجْلِ ، وأَفهمَهُمْ أَنَّهمْ فُتِنوا ،وأَنَّ السَّامِرِىَّ قدْ أَضَلَّهُمْ ، واسْتَغَلَّ جَهْلَهُمْ ، ورَغْبَتَهُمْ فى تَقْليدِ عَبَدَةِ الأَصْنامِ ، وصنعَ لهمْ هذا الْعِجْلَ .. قالَ لهمْ هارُونُ عليه السلام :

ـ لَيْسَ هذا إِلَهُكُمْ ولا إِلَهَ مُوسَى .. إِنَّ ربَّكُمْ هو اللهُ و إِلَهُكُمْ هو اللهُ .. يا قَوْمِ اتَّبِعُونِى وأَطيعُوا أَمْرِى ..

ولكِنَّ عَبَدَةَ الْعِجْلِ رَفَضُوا الاسْتِماعَ لِنُصْحِهِ ، ولمْ يَرْجِعوا عنْ عِبادةِ الْعِجْلِ ..

وأَخَذَ هارُونُ عليه السلام يُذَكِّرُهُمْ بنِعَمِ اللهِ ـ تعالَى ـ عليْهِمْ ، ومُعْجِزاتِهِ التى أَجْراهَا لهُمْ على يَدَىْ نَبِيِّهِ مُوسَى عليه السلام :

ولكنَّ الْقَوْمَ لمْ يُعيرُوا كَلامَهُ اهْتمامًا ، واسْتَمَرُّوا على عِبادَتِهمْ لِلْعِجْلِ ..

ولَمَّا اسْتَمَرَّ هارُونُ عليه السلام فى نُصْحِهِمْ ، تكاثَرَ عليْه الْقَوْمُ ، واسْتَضْعَفُوهُ ، فكَادُوا يَقْتُلُونَهُ .. ولمْ يَشَأْ هارُونُ عليه السلام أَنْ يُقاتِلَهُمْ بالْقِلَّةِ الْمُؤْمِنَةِ ، التى بَقِيَتْ مَعَهُ ، ولمْ تعْبُدِ الْعِجْلَ ، حتى لا تَقعَ الْحَرْبُ بيْنَ بنى إِسْرائيلَ ، ولهذا تركَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجلَ ، حتَّى يَعُودَ مُوسَى عليه السلام مِنْ مِيقَاتِ رَبِّهِ ، ويتصرَّفَ مَعَهُمْ بالطَّرِيقَةِ الَّتى تُعْجِبُهُ ..

ورجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غاضِبًا وحَزِينًا مِمَّا فعلَهُ قَوْمُهُ فى أَثْناءِ غَيْبَتِه ،وعِبادَتِهِمُ الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللهِ ـ تعالَى ـ .. ومَا إنْ رآهمْ مُلْتَفِّينَ حوْلَ العِجْلِ ، حتى صَرَخَ فِيهمْ قائلاً :

ـ ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونى مِنْ بَعْدِى ﴾

ومِنْ شِدَّةِ غَضَبِه أَلْقَى أَلْوَاحَ التَّوْرَاةِ على الأَرْضِ ، واتَّجَهَ إلى أَخِيهِ هارُونَ عليه السلام ، فجَذَبَهُ بِقُوَّةٍ مِنْ لِحْيَتِهِ ، ومِنْ شَعْرِ رَأْسِهِ ..

ثم صَرخَ فِيه قائلاً :

ـ كَيْفَ تَسْكُتُ على هذه الْفِتْنَةِ ؟! كَيْفَ تَسْمَحُ لهمْ بالارْتِدادِ عنْ دِينِهِمْ وعِبَادَةِ هذا الْعِجلِ



مِنْ دُونِ اللهِ ـ تعالَى ـ ؟! لماذا لَمْ تُقَاوِمْهُمْ وتَمْنَعْهُمْ بالشِّدَّةِ من عِبادَةِ هذا الصَّنَمِ ؟! ولِماذا بَقِيتَ مَعَهُمْ ولَمْ تَلْحَقْ بى ، طالما عَجَزْتَ عنْ مُقاوَمَتِهِمْ ؟! هلْ عَصَيْتَ يا هارُونُ أَمْرِى ؟!

وراحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَنِّفُ أخاهُ ، ظَنًّا مِنْهُ أنَّهُ قصَّرَ فى نُصْحِ بَنِى إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِه ..

وتَحَدَّثَ هارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأَخِيه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، طالبًا مِنْهُ أَنْ يترفَّقَ بِهِ ، وأَنْ يَتْرُكَ لِحْيَتَهُ وشَعْرَ رَأْسِهِ .. وشرحَ هارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخِيه ما حَدَثَ ، فقالَ لهُ : إنْ الأَمْرَ لَيْسَ فيه عِصْيانٌ ، وأنهُ لمْ يُقصِّرْ فى نُصْحِ الْقَوْمِ ، ولَمْ يَرْضَ عنْ عِبادَتِهِمْ لِلْعِجْلِ .. وهو لمْ يَشَأْ أنْ يُغادِرَهُمْ ، حتى لا يَظُنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قصَّرَ فى تَنْفِيذِ أَوامِرِه بَعْدَهُ .. وهوَ لمْ يَشَأْ أنْ يُقاتِلَ عَبَدَةَ الْعِجْلِ ، حتى لا تحْدُثَ فِتْنَةٌ وفُرْقَةٌ بيْنَ بنى إِسْرائيلَ وبَعْضِهِمْ ..

وأَفْهَمَ هارُونُ أَخاهُ مُوسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدِ اسْتَضْعَفُوهُ وحَاوَلُوا قَتْلَهُ ، عِنْدمَا نصَحَهُمْ بِتَرْكِ عِبادَةِ العِجْلِ ..

ورجَا هارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخاهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ تَعْنِيفِهِ ، حتى لا يَزْدادَ اسْتِضْعافُ الْقَوْمِ لَهُ ، واسْتِخْفافُهُمْ بِهِ ..

وأَدْرَكَ نبيُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَخاهُ هارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُقصِّرْ فى نُصْحِ الْقَوْمِ ، والْقِيامِ بأُمُورِهِمْ خيْرَ قِيامٍ مِنْ بَعْدِهِ .. ولذلكَ تركَهُ ووجَّهَ خِطابَهُ إِلى الْعُصَاةِ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ بنى إِسْرائيلَ ، فقالَ لهمْ :

ـ ﴿ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴾ ..

ثم خاطَبَ الَّذينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ ، فَوَبَّخَهُمْ ، وأَنْذَرَهُمْ بأَنَّهُمْ سوفَ يَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ فى الْحَياةِ الدُّنْيا ، جزاءَ كُفْرِهِمْ وعِصْيانِهِمْ ..





بعدَ ذلك توجَّهَ مُوسَى عليه السلام إلى السَّامِرِيِّ ، وسألَهُ عَنْ أمْرِه ، والأَسْبابِ الَّتى جعلَتْهُ يصْنَعُ لِبَنى إسْرائيلَ هذا العِجْلَ ، حتَّى يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ ..

فقالَ لهُ السَّامِرِىُّ :

ـ ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنبذْتُها وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ .

ثُمَّ قالَ : إنَّهُ رَأى الْملاكَ جِبْرِيلَ عليه السلام وهوَ رَاكِبٌ فَرَسَهُ ، فلاَ تضَعُ الْفَرَسُ قَدَمَها على شَيْءٍ ، إلَّا دَبَّتْ فِيهِ الْحَياةُ .. ولِذَلك فقدْ أَخذَ حَفْنَةً مِنَ التُّرابِ الَّذى سَارَتْ علَيْه فَرَسُ جِبْريلَ عليه السلام وأَلْقَاهَا على الذَّهبِ الذى صَنعَ مِنه الْعِجْلَ ، فى أَثْناءِ صَهْرِه ، فدَبَّتْ فيه الْحَياةُ ، وصَارَ عِجْلاً لهُ خُوارٌ كالْعِجْلِ الْحَقيقِيِّ ..

وختَمَ السَّامِرِىُّ حَديثَهُ قائلاً : إنَّ هذا هو مَا سَوَّلَتْهُ لَهُ نَفْسُهُ ؛ فقالَ له مُوسَى عليه السلام :

ـ إنَّ عِقابَكَ يا سامِرِىُّ فى هذه الْحَياة الدُّنْيا أَنْ تعيشَ وَحِيدًا مَنْبُوذًا ، مِنَ النَّاسِ ، ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ على وجْهِ الأَرْضِ .. أَلَّا تَقْتَرِبَ مِنْ أَحدٍ ولا يَقْتَرِبَ مِنْكَ أَحَدٌ .. أَلَّا تلْمِسَ أَحَدًا ولا يَلمِسَكَ أَحَدٌ ..

إنَّ عِقابَكَ يا سامِرِىُّ أَنْ تظَلَّ تقولُ « لاَ مِسَاسَ » ستَظَلُّ تُرَدِّدُ هذه الْكَلِمةَ لِكُلِّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْكَ ، لأَنَّ لَمْسَهُ لكَ سَوْفَ يُسَبِّبُ لكَ أَلَمًا عنيفًا .. لقدْ أَرَدْتَ فِتْنَةَ بنى إسْرائيلَ وجَمْعَهُمْ حَوْلَكَ لِيَعْبُدُوا إلَهَكَ ، ولِتَكُونَ أَنْتَ زَعِيمًا علَيْهِمْ ، ولهذا يَجِبُ أَنْ تُنْبَذَ ..

هذا عِقابُكَ فى الدُّنْيا ،أَمَّا فى الآخِرَةِ ، فإِنَّ لكَ مَوْعِدًا لنْ تُخْلَفَهُ مَعَ اللهِ ـ تعالَى ـ ، لِيُعَذِّبَكَ كَيْفَ يَشاءُ ..

أَمَّا عِجْلُكَ الذى صَنَعْتَهُ مِنَ الذَّهبِ ، وأَضْلَلْتَ بهِ ضِعافَ الإيمانِ ، وضِعافَ الْعُقُولِ مِنْ بنى إسْرائيلَ ، فسَوْفَ أَحرِقُهُ ، وَأَلْقِى به فى الْبَحْرِ ، حتى لا يَكُونَ لهُ أثرٌ بعْدَ الآنَ ..





وأشْعَلَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نارًا حامِيَةً ، ثمَّ ألْقَى بالْعِجلِ فِيها ، فصَهَرَهُ ، ثمَّ ألْقَى به فى الْبَحْرِ ، فانْتَهَى إلى الأبَد ..

وخَاطَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ مُذَكِّرًا إيَّاهُمْ بأنَّ إلَهَهُمْ هُوَ اللهُ الَّذى لاَ إلهَ إلَّا هوَ ، ولَيْسَ هذا الْعِجْلَ الَّذى عَبَدُوهُ فِى غَيْبَتِه ..

ثمَّ خاطبَ الْكافرينَ الْمُرْتَدِّينَ عنْ دينهِمْ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجْلِ ، قائلاً لهمْ : إنَّهمْ قدْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ بِعبادَتِهِمَ هذا الْعِجلَ مِنْ دُون اللهِ ـ تعالَى ـ الَّذى أنْعَمَ علَيْهِم بِكُلِّ هذهِ النِّعَمِ ، وفَضَّلَهُمْ علَى كَثيرٍ مِنْ خَلْقِه ..

وأفْهَمَ مُوسَى عَبَدَةَ الْعِجلِ أنَّ علَيْهِم أَنْ يَتُوبُوا إلى اللهِ خالِقِهِمْ ، وأنَّه لَيْسَ أمَامَهُمْ سِوَى طَريقٍ واحِدٍ لِلتَّوْبَة ، حتَّى يغْفِرَ اللهُ ـ تعالَى ـ لهمْ ذُنُوبَهُمْ ، ويَتُوبَ علَيْهِمْ ..

وهذا الطريقُ إلى التَّوْبَةِ هو أنْ يَقْتُلَ عَبَدَةُ الْعِجْلِ أنفسَهُمْ ، أَوْ يَقْتُل كلُّ واحِدٍ منْهُمْ صاحِبَهُ .. فأخذَ عَبَدَةُ الْعِجلِ يَقْتُلُونَ أنْفُسَهُمْ ، وكُلُّ مَنْ قابَلَ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ قتلَهُ ..

ثمَّ تابَ اللهُ ـ تعالَى ـ على بنى إسْرائيلَ مِنْ عَبَدَةِ الْعِجلِ ، فيما بَعْدُ ورحِمَهُمْ ، إنَّهُ هو وَحْدَهُ التَّوَّابُ الرَّحيمُ ..

ولَمَّا زالَ الْغَضَبُ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وعادَ إلى هُدُوئِهِ ، أمْسَكَ ألْوَاحَ التَّوْراةِ ، وراحَ يقْرأُ الْوَصايَا الْمَكْتُوبَةَ فِيها علَى قوْمِهِ ، وأَمَرَهُمْ أنْ يَعْمَلوا بما جَاءَ فيها ..

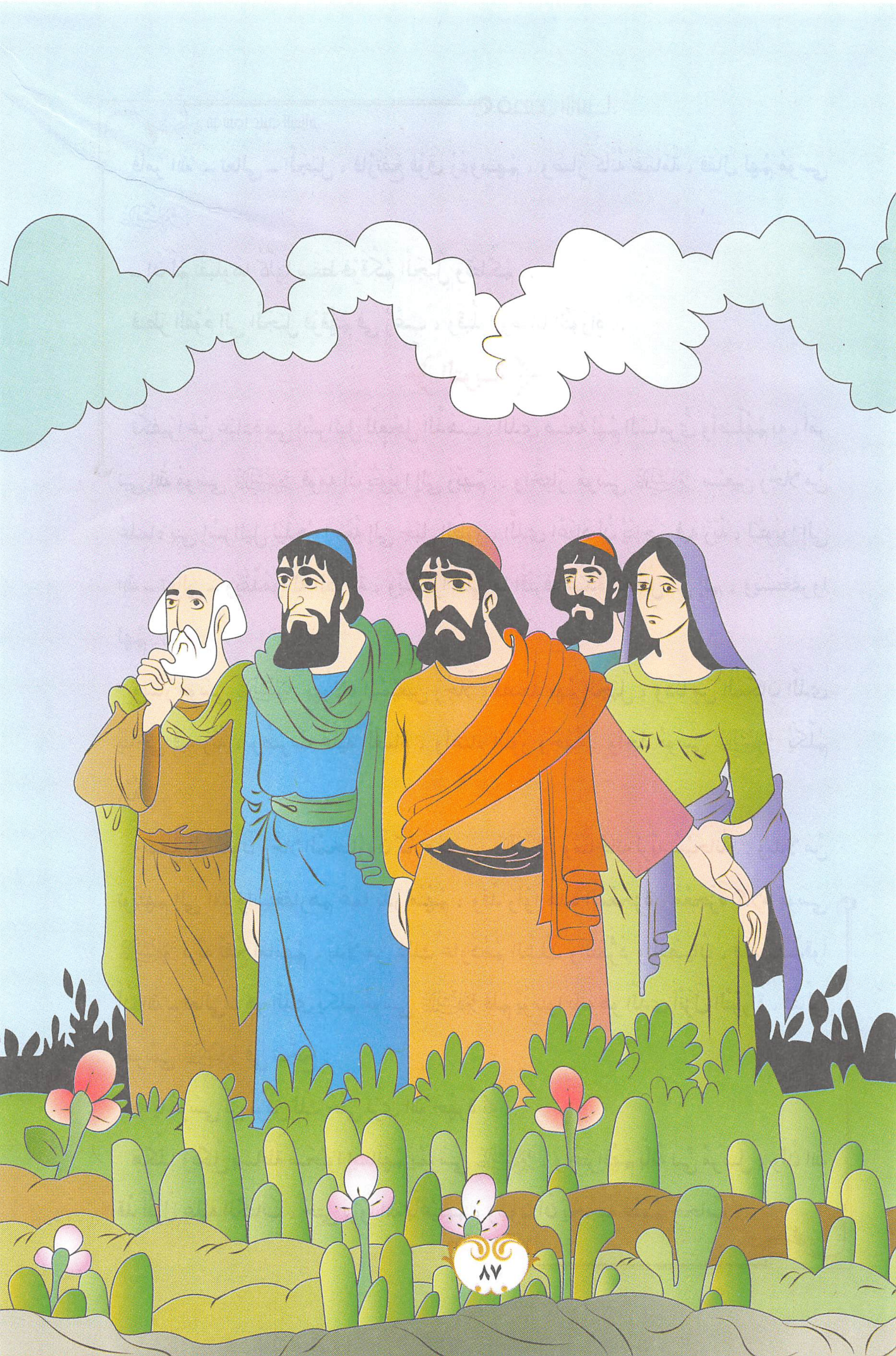
فقالَ لهُ الْقَوْمُ :

ـ إذا كَانَتْ أوَامرُ التَّوراةِ ونَواهيها سَهْلَةً قَبِلْنَاهَا ..

فقال لهمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ بلْ تَقْبلُونها كُلَّهَا وتَعْمَلُونَ بما فِيهَا ..

ولَكِنَّ الْقَوْمَ ظَلُّوا يُجَادِلونَ ويُسَاوِمون مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِرارًا وتكْرارًا ، حتَّى لا يَقْبَلُوا كُلَّ الْوَصايَا ، ويخْتارُوا السَّهْلَ مِنها لِيَعْمَلُوا بهِ فقطْ ..



فأمرَ اللهُ ـ تعالَى ـ الْجبلَ ، فارْتفعَ فوْقَ رُءُوسِهِمْ ، وصارَ كأنَّهُ غمامَةٌ ، فقالَ لهمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ إنْ لَمْ تَقْبلوهَا كُلَّها سقطَ فوْقَكُمُ الْجبَلُ وقتَلكُمْ ..

فنظرَ الْقوْمُ إلى الْجبَلِ فوْقَهُمْ فى رُعْبٍ ، وقَبلُوا وصَايَا التَّوْراةِ ..

التوبـة

تكْفيرًا عَنْ عِبادَةِ بنى إسْرائيلَ للْعِجْلِ الذَّهَبِ ، الَّذى صَنعَهُ لهُمُ السَّامِرِىُّ وأَضَلَّهُمْ بهِ ، أَمَر نَبِى اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ أنْ يَتوبُوا إلى ربِّهِمْ .. واخْتارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعينَ رَجُلاً مِنْ عُلَماءِ بَنِى إسْرائيلَ لِيَذْهَبُوا معَهُ إلى جَبَلِ الطُّورِ ، الَّذى اعْتادَ أنْ يُناجِىَ فِيهِ رَبَّهُ ، لِيَتُوبُوا إلى اللهِ ـ تعالَى ـ ويُقَدِّمُوا لَهُ الطَّاعَةَ ، ويَنْدَمُوا علَى ما اقْترَفَهُ عَبدَةُ الْعِجْلِ مِنْ إثْمٍ ، ويَسْتَغْفِروا لهمْ ..

وسارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهؤلاءِ السَّبْعينَ رَجُلاً ، فَصَعِدَ بهِمُ الْجبَلَ ، ودَنا مِنَ الْمكانِ الَّذى يُناجِى فِيهِ رَبَّهُ ، وضُرِبَ عليْهِ الْغَمامُ ، وأَضاءَ النُّورُ وَجْهَهُ ، وأَخذَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكَلِّمُ رَبَّهُ ..

وسمعَ السَّبْعُونَ رَجُلاً الْمُخْتارُونَ كَلامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومُناجَاتِه لِربِّهِ سُبْحانَهُ .. وبدلًا مِنْ توبتِهِمْ إلَى اللهِ واسْتِغْفارِهِمْ عَمَّا بَدرَ مِنْهُمْ ، وقدْ رَأَوْا هذهِ الْمُعْجِزةَ ، مُعْجزَةَ كَلامِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ تقَعُ أَمامَهُمْ ، بَدَلًا مِنْ ذلكَ عَاوَدَهُمُ الشَّكُّ والتَّمَرُّدُ والْعِصْيانُ ، فلمْ يُصَدِّقوا أنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ هو الَّذى يُكلِّمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلمْ يُؤْمِنوا بأنَّهُ هو الَّذى أَنْزلَ التَّوْراةَ ، فقالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى تَبَجُّحٍ :

﴿ يا مُوسَى لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرى اللهَ جَهْرَةً ﴾ ..

هكَذا وبكُلِّ بساطَةٍ سَحَبُوا إيمانَهُمْ بمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، واعْترافَهُمْ بأنهُ نبىٌّ مُرسَلٌ ، وأَنَّ اللهَ قدْ أَنْزَلَ عليْهِ الْكِتابَ ، حتى يرَوُا اللهَ بأَعْيُنِهِمْ ، ودُونَ أَنْ يَحْجُبَهُ عَنْهُمْ حِجابٌ ..



فماذا حدث لِهؤلاءِ الْقَوْمِ الظَّالمِين ؟!

لقدْ أخذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ فى الْحَالِ .. مَاتُوا وصُعِقَتْ أرْوَاحُهُمْ وأجْسَادُهُمْ ، فسَقَطُوا على الأَرْضِ ، وهمْ يَنْظُرونَ إلى بعْضِهِمْ لِيكُونَ كلُّ واحِدٍ منْهُمْ شاهِدًا على ما أصابَ الآخَرِينَ ، فلا يُنْكِرُوا موْتَهُمْ ولا ما أَصَابَهُمْ مِنْ صَاعِقَةِ الْمَوْتِ حِينَما يرْجِعُونَ إلى قوْمِهمْ ..

وتضَرَّعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربِّهِ سُبْحانَهُ ، مُسْتَغْفِرًا إيَّاهُ وتائِبًا مِمَّا فعَلَهُ قوْمُهُ ، وطالِبًا مِنْهُ الْعفْوَ عمَّا صَدرَ مِنْ سُفهاءِ قَوْمِه ..

قال مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخاطبًا ربَّهُ :

﴿ رَبِّ لوْ شِئْتَ أَهلَكْتَهُمْ من قَبْلُ وإيَّاىَ أتُهْلِكُنا بما فعلَ السُّفهاءُ مِنَّا إنْ هِىَ إلاَّ فتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وتَهْدِى مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وأَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِين ﴾ ..

واسْتَجاب اللهُ ـ تعالَى ـ دُعَاءَ نبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فغفرَ لهمْ ، وأَحْياهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهمْ ..

وكانَ مِنْ طَلَبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى دُعائِه إلى ربِّهِ الرَّحْمةُ والْمَغْفِرةُ فى الدُّنْيَا والآخِرةِ ، فأَخْبَرَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ أَنَّ هذا رَاجعٌ لِمَشِيئَتِه سُبْحَانَهُ ..

وفى هذا الْمَوْقِفِ بَشَّرَ اللهُ ـ تعالَى ـ بنَبِيِّه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

وباهَى قَوْمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأُمَّة مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ قَبْلِ مَجيئِها بأَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وخَمْسمائَةِ عَامٍ ..

فأَخْبرَ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنهُ كَتَبَ رَحْمَتَهُ لِلْمُتَّقِينَ ، الذين يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، ويُؤْمِنُونَ بآياتِ اللهِ ، ولا يُعارِضُونَ فِيها ، ولا يَتَعَنَّتُونَ أوْ يتَشَكَّكُونَ بَعْدَ إِيمانِهِمْ ، كما فعَلَ قَوْمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .. وهمُ الَّذينَ يَتَّبعُونَ النَّبىَّ الأُمِّىَّ ، الذى يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا فى التَّوْرَاة والإنْجِيلِ ، ومنْ أنَّهُ يأْمُرهُمْ بالْمَعْرُوفِ ويَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، ويُحِلُّ لهُمُ الطَّيِّبات ، ويُحرِّمُ عليْهِمُ الْخبائِث ، ويضَعُ عَنْهُمُ التَّكاليفَ الشَّاقَّةَ التى كانتْ مَفْرُوضَةً على الأُمَمِ السَّابِقَةِ .

وفى هذا الْمَوْقِفِ وبَّخ اللهُ ـ تعالَى ـ قوْمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وباهَى بأُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ ، لأَنَّهُمْ يؤْمنون بالله ـ تعالَى ـ وآياته دُونَ تَذَمُّرٍ أَوْ تعنُّتٍ ، ولهذا وصفَهُمْ بأَرْوَعِ الصِّفاتِ والأَخْلاقِ ..

بعْدَ هذا الْمَوْقِفِ عادَ نبيُّ الله مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليواصِلَ تَبْلِيغَ رِسالَتِهِ إلى قوْمِهِ ، ويُتابعَ جِهادَهُ الشَّاقَّ معَهُمْ ، ويُلاقِى مِنْ عِنادهمْ وتعَنُّتهِمُ الْكَثِيرَ كُلَّ يَوْمٍ ..

وذاتَ يوْمٍ وقعتْ قِصَّةُ الْبَقَرَةِ ، وهى قِصَّةٌ تُبيِّنُ مَدَى تَعَنُّتِ بَنِى إِسْرائيلَ وتشَدُّدِهمْ فى أُمورٍ عَادِيَّةٍ لمْ يُشَدِّدِ اللهُ ـ تعالَى ـ عَلَيْهِمْ فِيها فلَمَّا شدَّدُوا وعَسَّرُوا شَدَّدَ اللهُ ـ تعالَى ـ عليْهِمْ ، وعَسَّرَ لهمُ الأَمْرَ ..

وقِصَّةُ الْبَقَرَةِ تتلَخَّصُ فى أَنَّ رجُلًا ثَرِيًّا مِنْ بَنِى إِسْرائيلَ وُجِدَ مَقْتُولاً .. عَثَروا عَلَى جُثَّتِهِ ، ولمْ يَعْرِفوا مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ ..

وكادَتْ تقعُ فِتْنَةٌ وعَداوَةٌ بيْنَ بنى إِسْرائيلَ ، فراحَ بعْضُهُمْ يَتَّهِمُ بَعْضًا ظُلْمًا ، ولمْ يَعْثُرُوا على الْقَاتِلِ ..

ولِذلكَ ذَهَبُوا إِلَى نَبِىِّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وطَلَبوا منْهُ أنْ يلْجَأَ إلى ربِّهِ ، لِيدُلَّهُمْ علَى الْقاتِلِ ، حتى لا تَحْدُثَ الْفِتْنَةُ ..

ودعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ أنْ يُبيِّنَ لَهُمُ الحقَّ فى هذهِ الْقَضِيَّةِ ، فأَمَرَ اللهُ ـ تعالَى ـ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يأمُرَ قوْمَهُ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ ..

وأَمرهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَذْبَحوا بقرَةً ، قالَ لهمْ :

﴿ إِنَّ اللهَ يأْمُرُكُمْ أَنْ تذْبَحوا بقرةً ﴾ ..

ولكِنَّ الْقَوْمَ الذينَ اشْتَهَرُوا بِالْعِنادِ والْمُجادَلَةِ ، بدلَ أَنْ يُنَفِّذُوا أَمْرَ اللهِ ، ويَذْبَحُوا الْبَقَرَةَ الَّتى أمرهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِذَبْحِها ، اتَّهَمُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ ..

فاسْتعاذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ باللهِ أنْ يكونَ مِنَ الْجاهِلين ، حتَّى يَسْخَرَ مِنْهُمْ ، وأَفْهَمَهُمْ أنَّ كَشْفَ الْقاتِلِ ومَعْرِفَتَهُ يتوقَّفُ عَلَى ذَبْحِ الْبَقَرةِ ، أَيَّةِ بَقَرةٍ ..

فطلَبَ مِنْهُ الْقَوْمُ أَنْ يَرْجعَ إلى رَبِّهِ ، ويَدْعُوَهُ لِيُبيِّنَ لهمْ ما هِيَ الْبَقَرَةُ الْمَطْلُوبُ ذَبْحُها ، وهلْ هِي بَقَرَةٌ عاديَّةٌ مِنَ الْبَقرِ الَّذى يرَوْنَهُ ويَعْرِفُونَهُ ، أَمْ أنها بَقَرةٌ مِنْ نَوْعٍ خاصٍّ ..

ويَعودُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربِّهِ يَسْأَلُهُ عَنْ نَوْعِ الْبَقَرةِ الْمَطْلوب ذَبْحُها ، بِناءً على رَغْبَةِ الْقَوْمِ الْمُتشَدِّدِين ، فَيُشَدِّدُ اللهُ - تعالَى - علَيْهِمْ ، ويخْبِرُهُ بأَنَّها بَقَرةٌ مُتوسِّطَةُ الْعُمْرِ ، لَيْسَت بقرةً شابَّةً ، ولَيْسَتْ بقرةً عَجُوزًا ..

ويَعودُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويُخْبِرُهُمْ بما أَمَرَهُ به رَبُّهُ ويطْلُبُ مِنْهُمْ ذَبْحَ الْبَقَرةِ ..

ولكنَّ الْقَوْمَ بدَلًا مِنْ ذَبْحِ الْبَقَرةِ ، التى طُلِبَتْ مِنْهُمْ يَزْدادُ تَشَدُّدُهمْ ، فَيَسْأَلونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَدْعُوَ رَبَّه لِيُبيِّنَ لهمْ لَوْنَ الْبَقرةِ الْمَطْلُوبِ ذَبْحُها ..

ويعودُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى سُؤَالِ رَبِّه عَنْ لَوْنِ الْبَقَرةِ ، فَيُخْبِرُهُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - بأَنَّها بقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ..

ويعودُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قَوْمِهِ ، فَيُخبِرُهُم بأَنَّ الْبَقرةَ الْمَطْلُوبَ ذَبْحُها لوْنُها أَصْفَرُ مائِلٌ إلى الاحْمِرارِ ..

هكذا شَدَّدُوا فشَدَّدَ اللهُ - تعالَى - عليهِمْ ، وعسَّرُوا فضَيَّقَ اللهُ - تعالَى - علَيْهِمْ ..

ولَمْ يَنْتَهِ الأَمْرُ عِنْدَ هذا الْحَدِّ ، ولَمْ يَذْبَحْ بَنُو إِسْرائيلَ الْبَقرةَ التى حُدِّدَتْ أَوْصَافُها ، بلْ طَلَبوا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يعودَ لسؤالِ رَبِّهِ ، لِيُبيِّنَ لهمْ ما هِيَ الْبقرةُ الْمَطْلوبُ ذَبْحُها ؛ لأَنَّ الْبقرَ تشابَهَ علَيْهِمْ ..

ويَعُودُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِسؤَالِ رَبِّهِ عنْ مَاهِيَّةِ الْبقرةِ الْمَطْلُوبِ ذَبْحُها ، فَيُخْبِرُهُ اللهُ - تعالَى - بأَنَّها بقَرةٌ صَفْراءُ خَالِصَةُ الصُّفْرةِ ، وغَيْرُ مُعدَّةٍ لِحَرْثِ الأَرْضِ ، أَوْ سَقْيِها ، وهِى بقرةٌ خالِيَةٌ تمامًا مِنَ الْعُيُوبِ ..



وعادَ مُوسَى عليه السلام فأخْبَرَهُمْ بالْمُواصفاتِ الْمَطْلُوبَةِ فى الْبَقرةِ لآخرِ مَرَّةٍ ، فقالُوا لهُ : ﴿ الآن جِئتَ بالْحَقِّ ﴾ وكأَنَّ كُلَّ ما جاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ كانَ باطِلاً ..

هكذَا شَدَّدُوا ، فشَدَّدَ اللهُ ـ تعالَى ـ عليْهِمْ ..

وبَدأ بنو إِسْرائيلَ رِحْلَةَ الْبَحْثِ عَنْ بَقَرةٍ فيها كُلُّ هذهِ الصِّفَاتِ ..

بَحثُوا وبَحثُوا وظَلُّوا يَبْحثُونَ ، فلَمْ يعْثُرُوا بِسُهُولَةٍ على بَقرةٍ تجْتَمِعُ فيهَا كُلُّ هذه الْمُواصفَاتِ ..

وبعْدَ رِحْلَةِ بَحْثٍ شاقَّةٍ عَثرُوا عَلَى الْبَقْرَةِ عِنْدَ سَيِّدَةٍ ماتَ زَوْجُها ، وتُرَبِّى غُلامًا يَتيمًا ، فاشْترَوْها مِنْها بِمَبْلغٍ كَبيرٍ ..

وبعْدَ عِنادٍ وتشَدُّدٍ ذَبحُوا الْبَقَرةَ ، فأمرهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ أَنْ يَضْرِبُوا الْقَتيلَ بِجُزْءٍ مِنْها ، فلَمَّا فعَلُوا ذلكَ رَدَّ اللهُ ـ تعالَى ـ رُوحَ الْقتيلِ إِلَيْهِ ، وبَعَثَهُ مِنَ الْمَوْتِ ، فتكَلَّمَ وأخْبرَهُمْ عنِ اسْمِ الشَّخْصِ الذى قتلَهُ ، ثُمَّ أَماتَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ مَرَّةً أُخْرَى ..

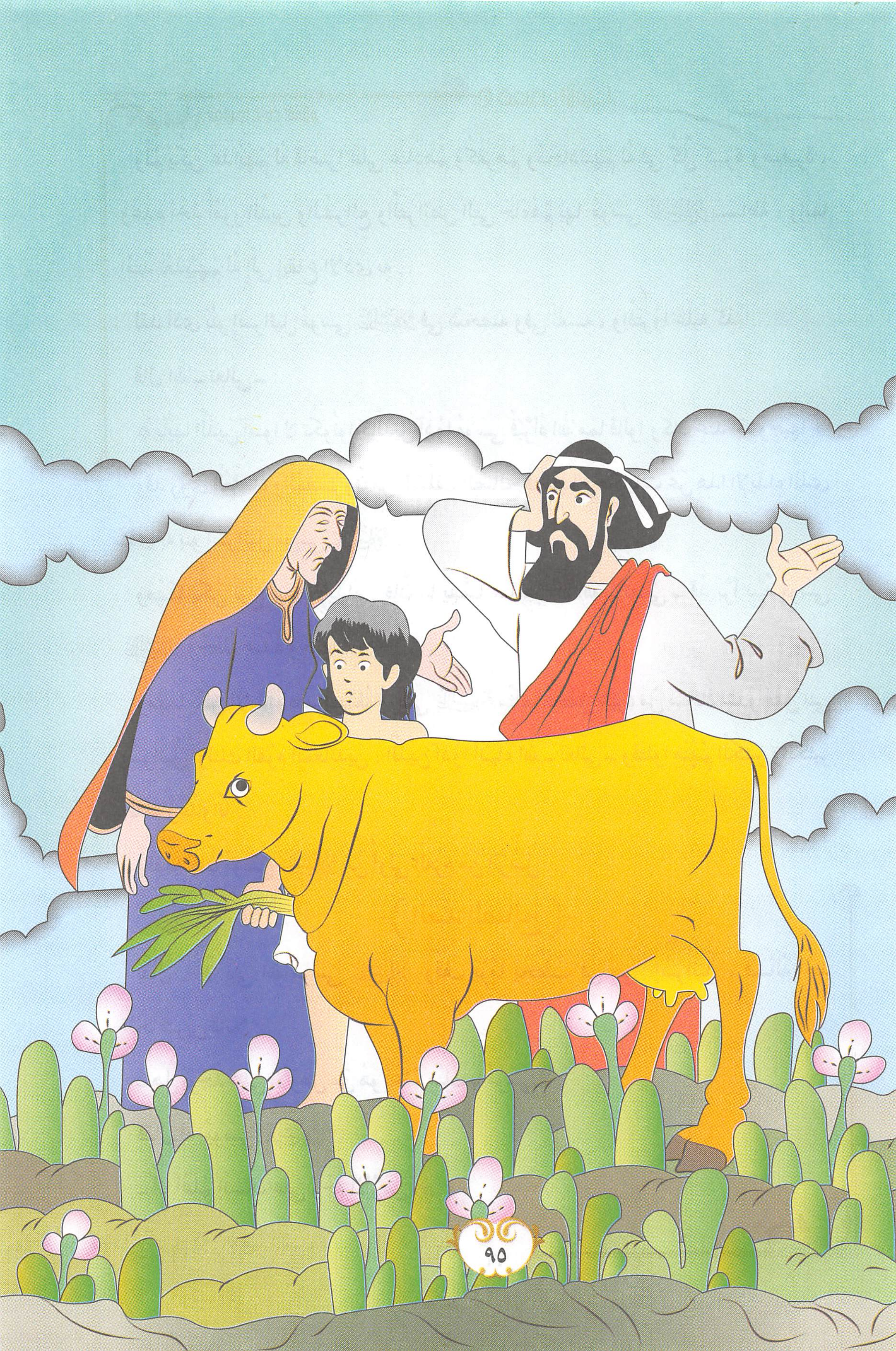
وهكَذا عَرفَ بنُو إسْرائيلَ قاتِلَ الرَّجُلِ الثَّرِىِّ ، فَوقَّعُوا عليْهِ الْقِصاصَ ، وانْتَهتِ الْفِتْنَةُ ..

وقدِ اسْتمَرَّ نَبِىُّ اللهِ مُوسَى عليه السلام يَدْعُو قَوْمَهُ بَنِى إِسْرائيلَ إلى عِبادَةِ اللهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ ، وعدَمِ الإِشْراكِ به وتَوْحِيدِه ..

وقدْ عَانَى مُوسَى عليه السلام وأَخُوهُ هارُونُ عليه السلام مِنْ تَعنُّتِ بنى إسْرائيلَ ، ومُجادَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ، ورَفْضِ أَخْذِ أُمُورِ الدِّينِ التى فَرضَها اللهُ ـ تعالَى ـ علَيْهِمْ وأَنْزَلَها فى التَّوْراةِ ، ومُجادَلَتِهِمْ وتشَدُّدِهِمْ فى الأُمُورِ الصَّغيرَةِ ، وترْكِهِمْ لِلأُمورِ الْخَطيرَةِ مِنْ دِينِهِمْ ..

وقَدْ عَذَّبَ بنُو إِسْرائيلَ نَبِيَّهُمْ مُوسَى عليه السلام كما عذَّبوا مَنْ جاءَ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِياءِ ومَنْ جاءَ بَعْدَهُ ..





ولَمْ يَكُنْ عَذَابُهُمْ لَهُ قاصِرًا عَلَى عِنادِهِمْ وكُفْرِهِمْ ومُجادَلَتِهِمْ لهُ فى كُلِّ كَبيرةٍ وصَغيرةٍ ، وعَدَمِ أَخْذِ أُمُورِ الدِّينِ والشَّرائعِ والْفَرائِضِ التى جاءَهُمْ بها مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَساطَةٍ ، وإنَّما امْتَدَّ تَعْذيبُهُمْ لهُ إِلَى إِيقاعِ الأَذَى بِهِ ..

لَقَدْ آذَى بَنُو إِسْرائيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى شَخْصِهِ وفِى نَفْسِهِ ، وافْتَرَوْا عَلَيْهِ كَذِبًا ..

قالَ اللهُ ـ تعالَى ـ :

﴿ يأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تكُونُوا كالَّذينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا وكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا ﴾

وقَدْ رَوَى الْعُلَماءُ والْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ قِصَصًا وحِكَاياتٍ عَنْ هذَا الإِيذَاءِ الَّذى آذَى به بَنُو إِسْرائيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

ومَهْمَا يَكُنْ نَوْعُ هذا الإِيذَاءِ ، فإِنَّ ما يُهِمُّنَا هنَا هُو أَنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قدْ بَرَّأَ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وجَعَلَهُ عِنْدَهُ وَجِيهًا ..

ومَهْمَا يَكُنِ الإِيذَاءُ فَقَدْ تَحَمَّلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَما تَحمَّلَ غيْرُهُ مِنْ سَخافَاتِ وَجَهْلِ بَنِى إِسْرائيلَ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الْمُعانِدِينَ ، الَّذين آذَوْا أَنْبياءَ اللهِ ـ تعالَى ـ وقَتَلوا مِنْهُمُ الْكَثيرَ والْكَثيرَ ظُلْمًا وَعُدْوانًا ..

ولِهذا كانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُولِى الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ..

العبد الصالح

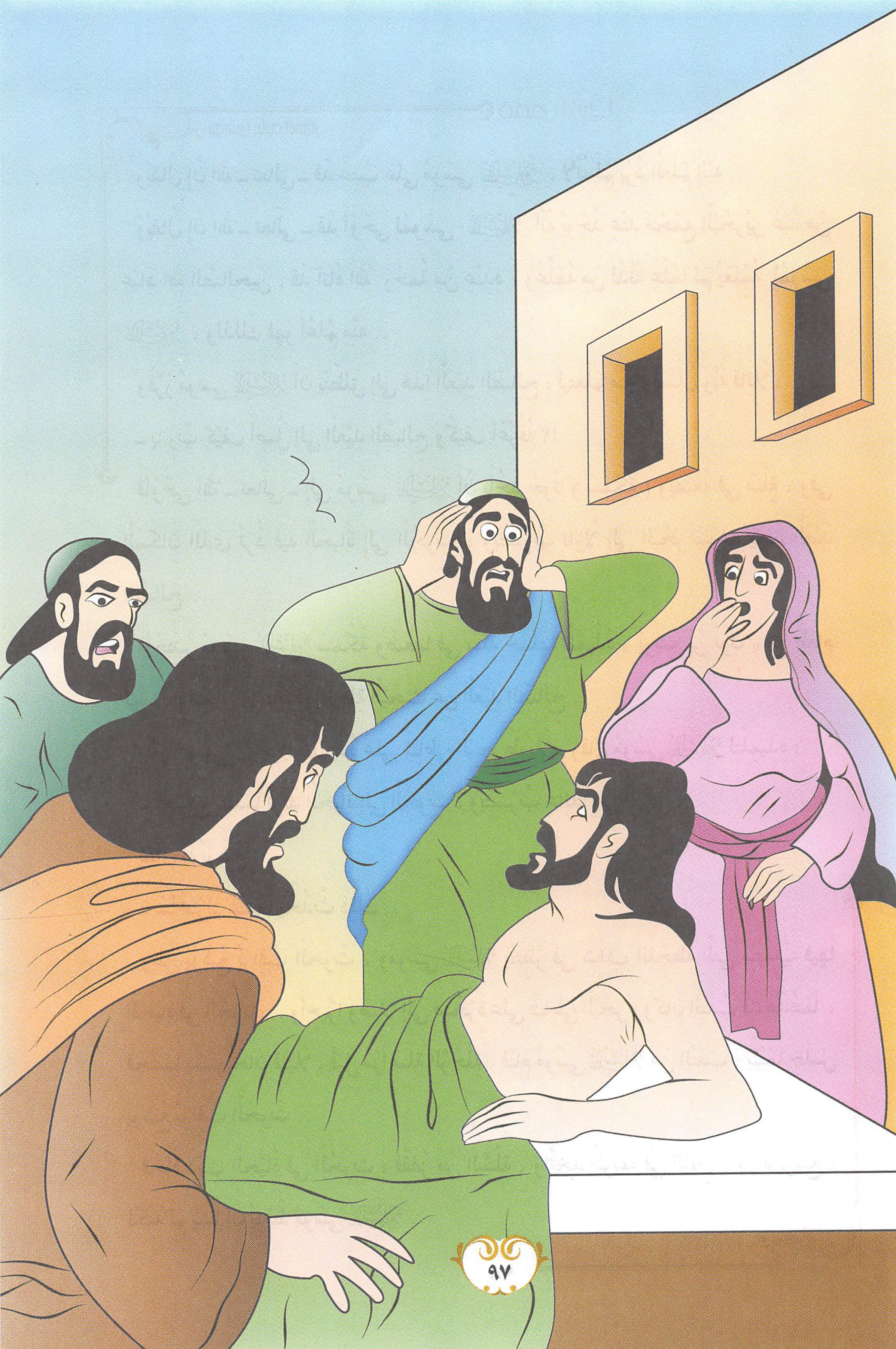
يُقَالُ : إِنَّ نَبِىَّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَفَ يَوْمًا يَخْطُبُ فى بَنِى إِسْرائيلَ ، فسَأَلَهُ أَحَدُ الْحاضِرينَ قائِلاً :

ـ هَلْ يُوجَدُ على الأَرْضِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ يا مُوسَى ؟

فقالَ لهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ أنا أَعْلَمُ إِنْسانٍ على وجْهِ الأَرْضِ ..





ويُقالُ إنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قدْ عتبَ على مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لأنَّه لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إلَيْه ..

وَيُقالُ إنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قدْ أَوْحَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهُ يُوجدُ عِنْدَ مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ عَبْدٌ مِنْ عِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ ، قدْ آتاهُ اللهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِه ، وعلَّمَهُ مِنْ لَدُنْهُ عِلْمًا لَمْ يُعَلِّمْهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ولِذلكَ فهوَ أَعْلَمُ مِنْه ..

وقَرَّرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يَنْطَلِقَ إلى هذا الْعَبْدِ الصَّالِح ، لِيتعلَّمَ مِنْهُ ، فسأَلَ ربَّهُ قائِلاً :

ـ يا رَبِّ كيْفَ أَصِلُ إلى الْعَبْدِ الصَّالِحِ وكيْفَ أعْرِفُهُ ؟!

فأَوْحَى اللهُ ـ تعالَى ـ إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يأْخُذَ حُوتًا (سَمَكَةً) ويضَعَهُ فى سَلَّةٍ ، وفى الْمَكانِ الَّذى تُرَدُّ فِيه الْحَياةُ إلى الْحُوتِ ، ويتَسَرَّبُ نازِلاً إلى الْبَحْرِ سَوْفَ يَجِدُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ ..

فأَحْضَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمكَةً وضَعَها فى سَلَّةٍ حَملَها تِلْمِيذُهُ « يُوشَعُ بْنُ نُون » مع طَعامٍ لَهُما ، وانْطَلقَ الاثْنانِ فى رِحْلَةِ الْبَحْثِ عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ..

سارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتِلْمِيذُهُ على شاطِئِ الْبَحْرِ طَويلاً ، وقالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتلْمِيذِه :

ـ أَخبِرْنى عِنْدَما تَرْتَدُّ الْحَياةُ إلى الْحُوتِ ، ويتَسَرَّبُ عائِدًا إلى الْبَحْرِ ..

فقالَ له يُوشَعُ :

ـ سَأُخْبِرُكَ عِنْدَما يَحْدُثُ ذلِكَ ..

وظَلَّ يُوشَعُ يُراقِبُ الحوتَ ، ومُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْتَظِرُ فى شَغَفٍ اللَّحْظَةَ الَّتى ستَدُبُّ فِيها الْحَياةُ فى الْحُوتِ .. وأَخيرًا وصَلا إلى صَخْرَةٍ على شاطِئِ الْبَحْرِ ، وكانَ التَّعَبُ قدْ هَدَّهُما ، فجلَسَا يسْتَريحانِ قليلاً ، قَبْلَ مُواصَلَةِ الرِّحْلَةِ ، فنامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّعَبِ ، بيْنَما جلَسَ يُوشَعُ يُراقِبُ الْحُوتَ ..

فجْأَةً دبَّتِ الْحَياةُ فى الْحُوتِ ، فقفَزَ مِنَ السَّلَّةِ ، واتَّخذَ طَرِيقَهُ فى الْبَحْرِ ، ورآهُ يُوشَعُ ، لكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أنْ يُوقِظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

اسْتَيْقَظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعْدَ ذلكَ ، وقرَّرَ مُواصَلَةَ الرِّحْلَةِ بَحْثًا عن الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، ونَسِيَ يُوشَعُ أنْ يُخبِرَهُ أَنَّ الْحُوتَ قدْ دَبَّتْ فِيه الْحياةُ وتسَرَّبَ إلى الْماءِ ..

وبعْدَ أنْ سارا مَسَافَةً مِنَ الطَّريقِ ، شَعَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالْجُوعِ ، فَطَلبَ مِنْ يُوشَعَ أنْ يُقدِّمَ لهمَا الطَّعامَ ..

وفي هذه اللَّحْظَةِ تَذَكَّرَ يُوشَعُ الْحوُتَ ، فأَخْبَرَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ الْحياةَ قدْ دَبَّتْ فِيه عِنْدَ الصَّخْرَةِ وأَنَّهُ نَسِيَ أنْ يُخْبِرَهُ ، فقالَ له مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ هذا ما كُنَّا نُرِيدُ ..

وعادَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتِلْمِيذُهُ يُوشَعُ إلى الصَّخْرَةِ ، وهناكَ وجَدَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ ، الَّذى آتاهُ اللهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وعَلَّمَهُ مِنْ لَدُنْهُ عِلْمًا ..

فقالَ له مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ هلْ أَتَّبِعُكَ على أَنْ تُعلِّمَنِي مِنْ عِلْمِكَ الَّذى علَّمَكَ اللهُ إِيَّاهُ ؟

فردَّ علَيْه الْعَبْدُ الصَّالِحُ قائِلاً :

ـ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .. لَنْ تَصْبِرَ على ما لَمْ تُحِطْ بِهِ عِلْمًا ..

فَأَلَحَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الْعَبْدِ الصَّالِحِ أنْ يُوافِقَ على مُصَاحَبَتِه لهُ ، والتَّعَلُّمِ مِنْ عِلْمِهِ ، ذَاكِرًا له بأَنَّهُ سَيكُونُ صَابِرًا ، إِنْ شاءَ اللهُ ، ولَنْ يَعْصِيَ لهُ أَمْرًا ..

فوَافقَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ على أنْ يُصَاحِبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ويَسِيرَ معَهُ ، ولِكنْ بِشَرْطٍ ..

فسَأَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هذا الشَّرْطِ ، فقالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

ـ أَلَّا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ ، مَهْما كانَ ، حتى أُحدِّثَكَ عَنْهُ ، وأُوَضِّحَ لكَ حَقِيقَةَ ما غابَ عَنْكَ ، وخَفِيَ علَيْكَ فَهْمُهُ ..

فقالَ له مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :



ـ لَنْ أسْألَك عنْ شَيْءٍ ، حتَّى تُوَضِّحَه لى ..

وانْطَلقَ مُوسَى عليه السلام فى صُحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، سَارا على شَاطِئِ الْبَحْرِ .. رأى الْعَبْدُ الصَّالِحُ سَفِينةً تمرُّ بهمَا ، فأشَارَ إلى أصْحابِ السَّفِينَةِ ، فحَمَلُوهُمَا مَعَهُمْ ..

ويَبْدُو أنَّ أصْحابَ السَّفِينَةِ ، كانُوا يَعْرفُونَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ ، ولِذلك رَفَضُوا أنْ يأْخُذُوا مِنْهُ أجْرًا عَنِ الرُّكُوبِ ..

سارتِ السَّفِينَةُ إلى الْبَلَدِ الذى تَقْصِدُهُ ، وفُوجِئَ مُوسَى عليه السلام بالْعَبْدِ الصَّالِحِ فى قَاعِ السَّفِينَةِ ، يَخْلَعُ لَوْحًا مِنْ ألْوَاحِها ، وقَدْ بَدأتِ الْمِياهُ تتدَفَّقُ بِدَاخِلِها ، فتَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ مِن تَصرُّفِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وأنْكَرَ عليه تَخْرِيبَ السَّفِينَةِ ، قَائِلاً :

ـ ما هذَا الَّذى تَفْعَلُهُ ، هلْ خَرَقْتَ السَّفِينَةَ لِتُغْرِقَ أصْحابَها ؟! لقَدْ فَعَلْتَ فِعْلاً مُنْكَرًا ..

فيقولُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

ـ يا موسَى أَلَمْ أَقُلْ لكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ؟!

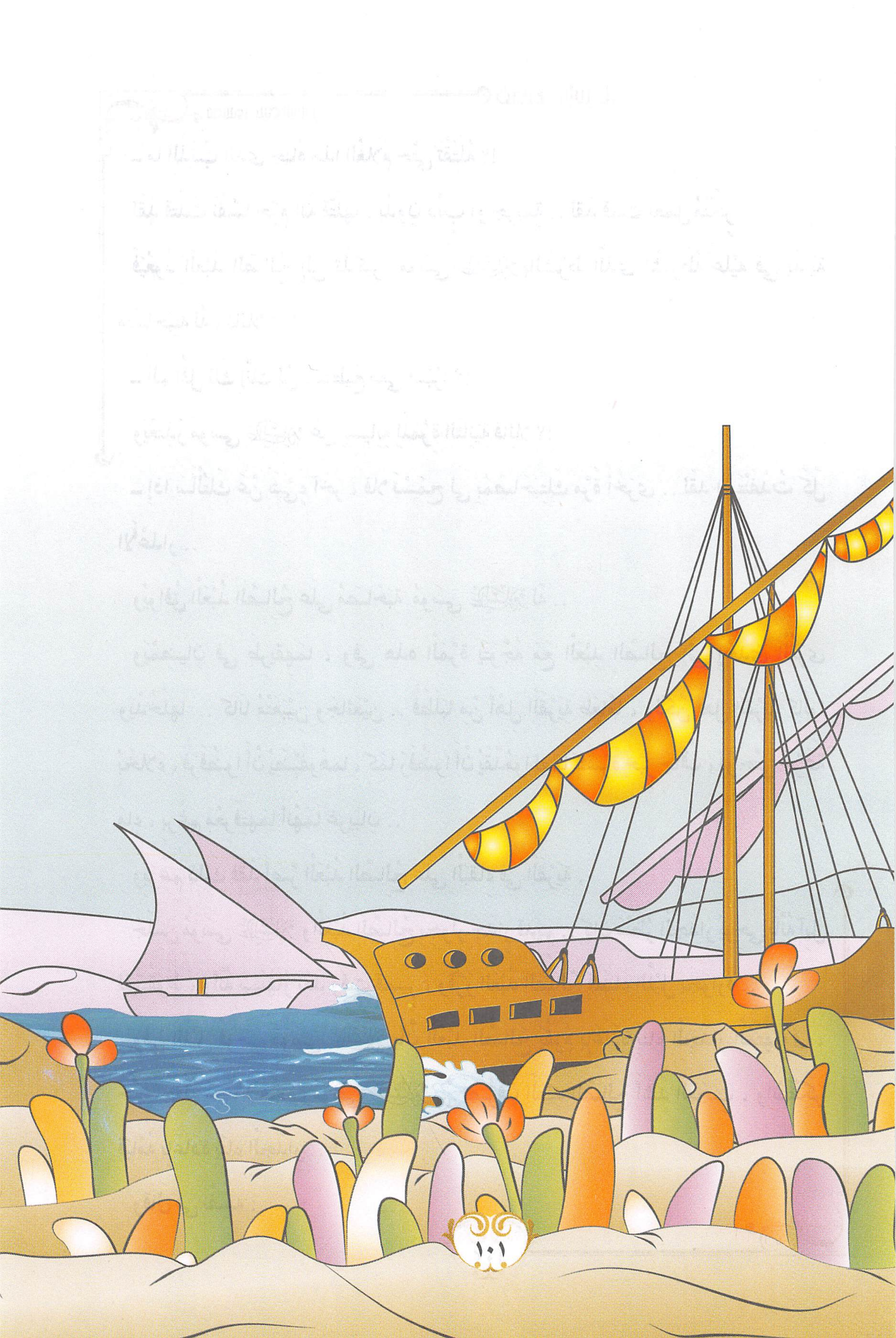
فيَعْتَذِرُ مُوسَى عليه السلام لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ ، بِسَبَبِ مابَدَرَ مِنْهُ مِنْ نِسْيانِ الشَّرْطِ الذى اشْتَرَطَهُ عليْه .. ويَرْجُوهُ ألَّا يُرْهِقَهُ أَوْ يُؤَاخِذَهُ على نِسْيَانِهِ ..

وينْطَلقُ مُوسَى عليه السلام فى صُحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، يغَادِرانِ السَّفِينَةَ ويَسيرَانِ على سَاحِلِ الْبَحْرِ ..

ويرَى الْعَبْدُ الصَّالِحُ مَجْمُوعَةً مِنَ الأطْفَالِ يَلْعَبُونَ مَعًا ، فيَجْلسانِ لِلرَّاحةِ قليلاً .. وبعْدَ قليلٍ يَنْصَرِفُ الأطْفَالُ ويَتْرُكونَ طفلاً واحِدًا منْهُمْ .. طِفلاً يَتّسِمُ وَجْهُهُ بِكُلِّ براءَةِ الأطْفَالِ ..

ويُفَاجأُ مُوسَى عليه السلام بأنَّ الْعَبْدَ الصَّالحَ يَقْترِبُ مِنَ الطِّفْلِ ويُمْسِكُ به ، ثمَّ يَقْتُلُهُ ..

ويَنْدَفِعُ مُوسَى عليه السلام نَحْوَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، والْغَضَبُ يَمْلأُ وَجْهَهُ ، ثمَّ يقولُ له :



ـ ما الذَّنْبُ الَّذِى جَنَاهُ هذا الْغُلَامُ حتَّى تَقْتُلَهُ ؟!

لقَدْ قَتلْتَ نَفسًا حرَّمَ اللهُ قَتْلَها ، بِدُونِ ذَنْبٍ أَوْ جريمَةٍ .. لقَدْ قُمْتَ بِعَمَلٍ مُنْكرٍ ..

فَيَعُودُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِلى تَذْكِيرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالشَّرْطِ الَّذى اشْتَرَطَهُ عليْهِ فى بِدَايَةِ مُصَاحَبَتِهِ لهُ ، قائلاً :

ـ أَلَمْ أَقُلْ لك إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ؟!

ويَعْتَذِرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نِسْيانِه لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ قائلاً ؟!

ـ إذا سَأَلْتُكَ عَنْ شَىْءٍ آخَرَ ، فلا تَسْمَح لى بِمُصَاحَبَتِكَ مرَّةً أُخْرَى .. لَقَدِ اسْتَنْفَدْتُ كُلَّ الأَعْذارِ ..

ويُوافِقُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ على مُصَاحَبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ له ..

ويَمْضِيانِ فى طَرِيقِهِمَا ، وفى هذه الْمَرَّةِ يَتوَجَّهُ مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ إِلى إِحْدَى الْقُرَى ويَدْخُلها .. كانَا مُتْعَبَيْنِ وجَائعَيْنِ .. فطَلَبَا مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ طعَامًا ، ولكِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ كانُوا بُخَلاءَ ، فرَفَضُوا أَنْ يُضَيِّفُوهُما ، كَمَا رَفَضُوا أَنْ يُقَدِّمُوا لهما كِسْرَةَ خُبْزٍ جَافٍّ ، أَوْ حتَّى جَرْعَةَ مَاءٍ ، بِرَغْمِ مَعْرِفَتِهِمَا أَنهُمَا غرِيبَانِ ..

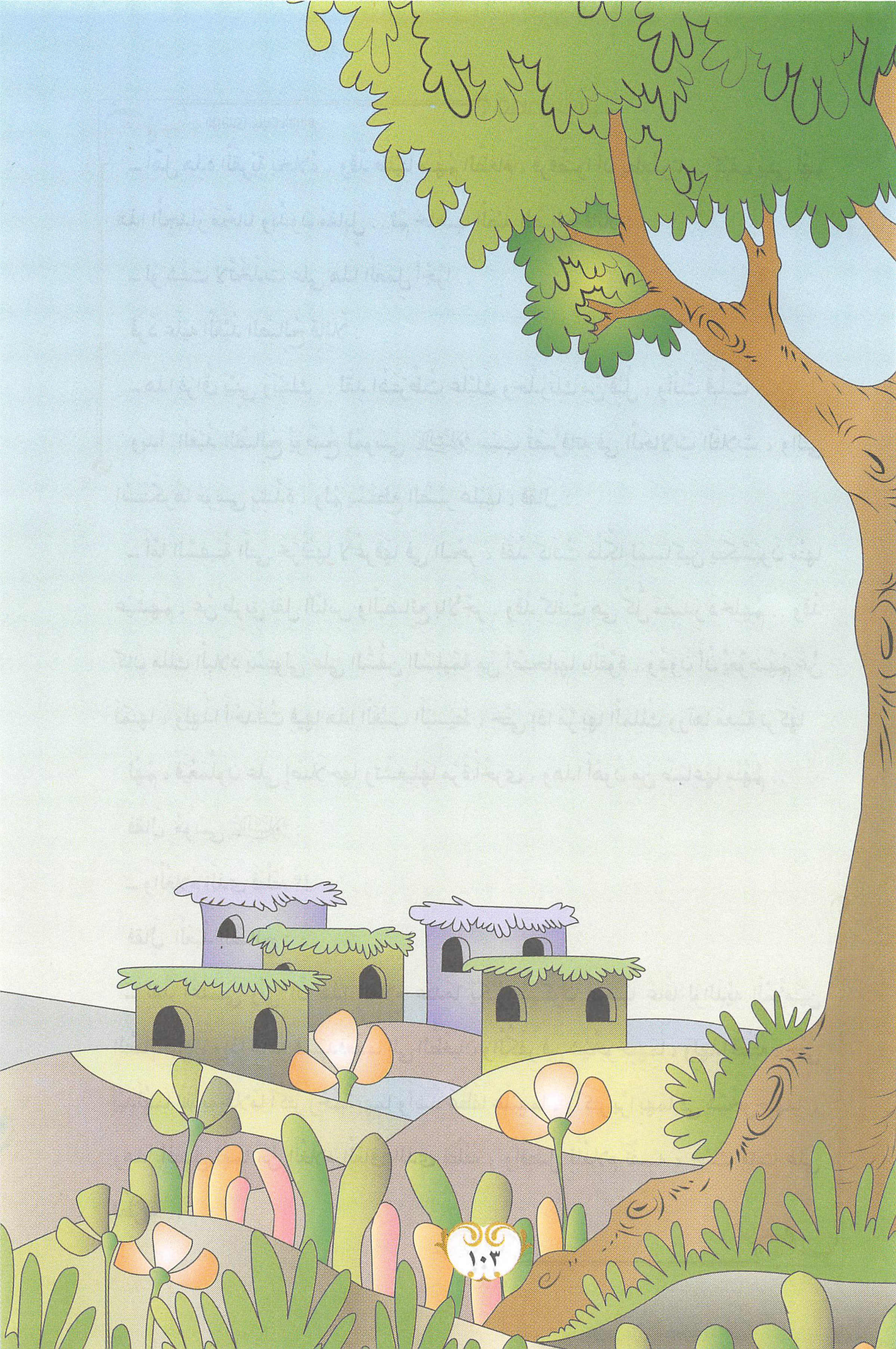
وبِرَغْمِ ذلكَ فقَدْ أَصرَّ الْعَبْدُ الصَّالِحُ على الْبَقاءِ فى الْقَرْيَةِ .

جَلَس مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ والْعَبْدُ الصَّالِحُ بِجِوارِ جِدَارٍ قدِيمٍ .. كانَ مَنْظَرُ الْجِدارِ يُوحِى بِأَنَّهُ آيِلٌ لِلسُّقُوطِ ، وأَنَّهُ سَيَنْهارُ بعْدَ وقْتٍ قَصِيرٍ ، وقَرَّرَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ قضاءَ اللَّيْلِ بِجِوارِهِ ..

وفى اللَّيْلِ فُوجِئَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَقُومُ بإِعادَةِ بِناءِ الْجِدارِ الْمُتَهاوِى ، حتَّى جعَلَهُ مَتِينًا فتعَجَّبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَصرُّفِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ أَشَدَّ الْعَجَبِ ، واسْتَنْكَرَ قِيَامَهُ بِإِعَادَةِ بِناءِ الْجِدَارِ ..

وقَالَ فى نَفْسِه :



ـ أَهْلُ هذه القَرْيَةِ بُخلاءُ ، وقدْ طَلَبْنا مِنهُمُ الطَّعامَ ، فرفضُوا أنْ يُطْعِمُونا .. كيْفَ يَبْنِى لَهُمْ هذا الْجِدارَ مَجَّانًا وبِدُونِ مُقابِلٍ .. ثمَّ خاطَبَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ قائِلاً :

ـ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ على هذا العَمَلِ أجْرًا ..

فردَّ عليْه الْعَبْدُ الصَّالِحُ قائِلاً :

ـ هذا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنكَ .. لقَدِ اشْتَرَطْتُ عليْكَ وحَذَّرْتُكَ مِنْ قَبْلُ ، وأَنْتَ قَبِلْتَ ..

وبَدأَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ يُوَضِّحُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سببَ تَصرُّفاتِهِ فى الْحَالاتِ الثَّلاثِ ، والَّتى اسْتَنْكَرهَا مُوسَى بِشِدَّةٍ ، ولَمْ يسْتَطِعِ الصَّبْرَ علَيْها ، فقَالَ :

ـ أَمَّا السَّفِينَةُ الَّتى خَرَقْتُها لأُغْرِقَهَا فى الْبَحْرِ ، فقَدْ كانَتْ مِلْكًا لِمَساكِينَ يتكَسَّبُونَ مِنها عيْشَهُمْ ، عنْ طَرِيقِ نَقْلِ النَّاسِ والْبَضائِعِ بالأَجْرِ ، وقَدْ كانَتْ هى كُلُّ مَصْدَرِ دَخْلِهِمْ .. وقَدْ كانَ مَلِكُ الْبِلادِ يَسْتولى علَى السُّفُنِ السَّلِيمَةِ مِنْ أَصْحابِهَا بالْقُوَّةِ ، وَدُونَ أنْ يُعَوِّضَهُمْ عَنْ ثَمَنِها ، ولِهذَا أَحْدَثْتُ فِيها هذا الْعَيْبَ الْبَسِيطَ ، حتَّى إذا مَرَّ بها الْمَلِكُ ورآها مَعِيبَةً تَرَكَهَا لَهُمْ ، فيَعْمَلُونَ على إِصْلاحِها وتَشْغِيلِهَا مرَّةً أُخْرَى ، وهذا أَهْوَنُ مِنْ ضَيَاعِها مِنْهُمْ ..

فقالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ والْغُلامُ الَّذى قَتَلْتَهُ ؟!

فقالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

ـ لقدْ أَعْلَمَنى رَبِّى أَنَّ هذَا الْغُلامَ عِنْدَمَا يَكْبَرُ سَيَكُونُ عاصِيًا عاقًّا لِوَالِدَيْهِ الْمُؤْمِنَيْنِ الصَّالِحَيْنِ ، وإِذَا عاشَ فَسَيَدْفَعُهُما إِلَى الطُّغْيانِ والْكُفْرِ فى شَيْخُوختِهِمَا ، ولِهذا قَتَلْتُهُ ، حتَّى يُبْدِلَهُمَا اللهُ به غُلامًا أَكْثَرَ رحْمَةً بهما وأَشَدَّ عطْفًا علَيْهما ، وأَكْثَرَ برًّا بهمَا فى شَيْخُوختِهِمَا ، وهذا أَفْضَلُ لَهُمَا مِنَ الْغُلامِ الْعاقِّ الذى قَتَلْتُهُ ، وأَفْضَلُ لِلْغُلامِ نَفْسِهِ ، حيْثُ ماتَ على فِطْرَتِهِ ..

فقالَ مُوسَى عليه السلام :

ـ والْجدارُ الَّذى بَنَيْتَهُ دُونَ أَجْرٍ ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ هذهِ الْقَرْيَةِ لا يَسْتَحِقُّونَ الإِحْسَانَ إِلَيْهما ، بِسَبَبِ بُخْلِهِمْ مَعنا ؟!

فقالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

ـ لقدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجِدَارَ مِلْكٌ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ، وأَنَّ الْجِدارَ تَحْتَهُ كَنْزٌ يَخُصُّ الْغُلامَيْنِ فلَوْ تَرَكْتُهُ يَنْهارُ ، لسَرَقَ أَهْلُ هذهِ الْقَرْيَةِ الْكَنْزَ وحَرَمُوا الْغُلامَيْنِ مِنْهُ ، ولِهذا بَنَيْتُ الْجدارَ ، لِيَحْفَظَ الْكنزَ تَحْتَهُ ، حتَّى يَكْبَرَ هذَانِ الْغُلامَانِ ، ويَبْلُغا رُشْدَهُمَا ، فيُصْبِحَانِ قَادِرَيْنِ على إِحْسَانِ التَّصرُّفِ فى أَمْوالِهما ، فيَسْتَخْرِجا كَنْزَهُمَا .. وفى ذلكَ رحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ ..

رحْمَةٌ بأَصْحابِ السَّفِينَةِ الْمَساكِين ، ورحْمَةٌ بالأَبَوَيْنِ الْمُؤمِنَيْنِ ، و رحْمَةٌ بالْغُلامَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ ، وما فَعَلْتُ ذلكَ كُلَّهُ إِلاَّ بِعِلْمِ اللهِ الَّذى علَّمنى إِيَّاهُ ..

وهكذا غادَرَ مُوسَى عليه السلام الْعَبْدَ الصَّالِحَ ، عَائدًا إلى تِلْمِيذِهِ يُوشَعَ بعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّ للهِ عِبادًا اخْتَصَّهُمْ بِعِلْمِهِ اللدُنِيِّ ، الذى لَمْ يَخْتَصَّ به حَتَّى الأَنْبِياء ..

ووَاصَلَ مُوسَى عليه السلام رِسالَتَهُ حتَّى توفَّاهُ اللهُ .

تَمَّتْ





أنبياء لبني إسرائيل بعد موسى عليه السلام





حَرَّمَ اللهُ ـ تعالَى ـ عَلَى بَنِى إِسْرائيلَ دُخُولَ الأَرْضِ المقَدَّسَةِ فى فِلَسْطِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، بِسَبَبِ جُبْنِهِمْ عَنْ قتَالِ مَنْ فِيهَا مِنْ أَعْداءِ اللهِ وأَعْدَائِهِمْ ، فَظَلُّوا يَضْرِبُونَ فى التِّيهِ ..

وكَانَ نَبِى اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُلُ أَنْ تَنْتَهِىَ سَنواتُ التِّيهِ فى حَيَاتِه ، حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِ الأَرْضِ المقَدَّسَةِ بِقَوْمِه ..

لَكِنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ أَوْحَى لِمُوسَى بِأَنَّ قَوْمَهُ لَنْ يَدْخُلُوا الأَرْضَ المقَدَّسَة فى حَيَاتِه ، وبِرَغْمِ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعِدُّ الْجَيْشَ الَّذِى سَيَدْخُلُ فِلَسْطِينَ مِنَ الْجِيلِ الْجَدِيدِ ، مِنَ الَّذِينَ نَشَئُوا فى التيه ، والَّذينَ لَمْ يَتَرَبَّوْا عَلَى الذُّل والْخُضُوعِ لِلْفِرْعَوْنِ والمصْرِيِّينَ .. وقَبْلَ انْقِضَاءِ سَنَواتِ التِّيهِ تُوُفِّى نَبِى اللهِ هَارُونُ ومِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ..

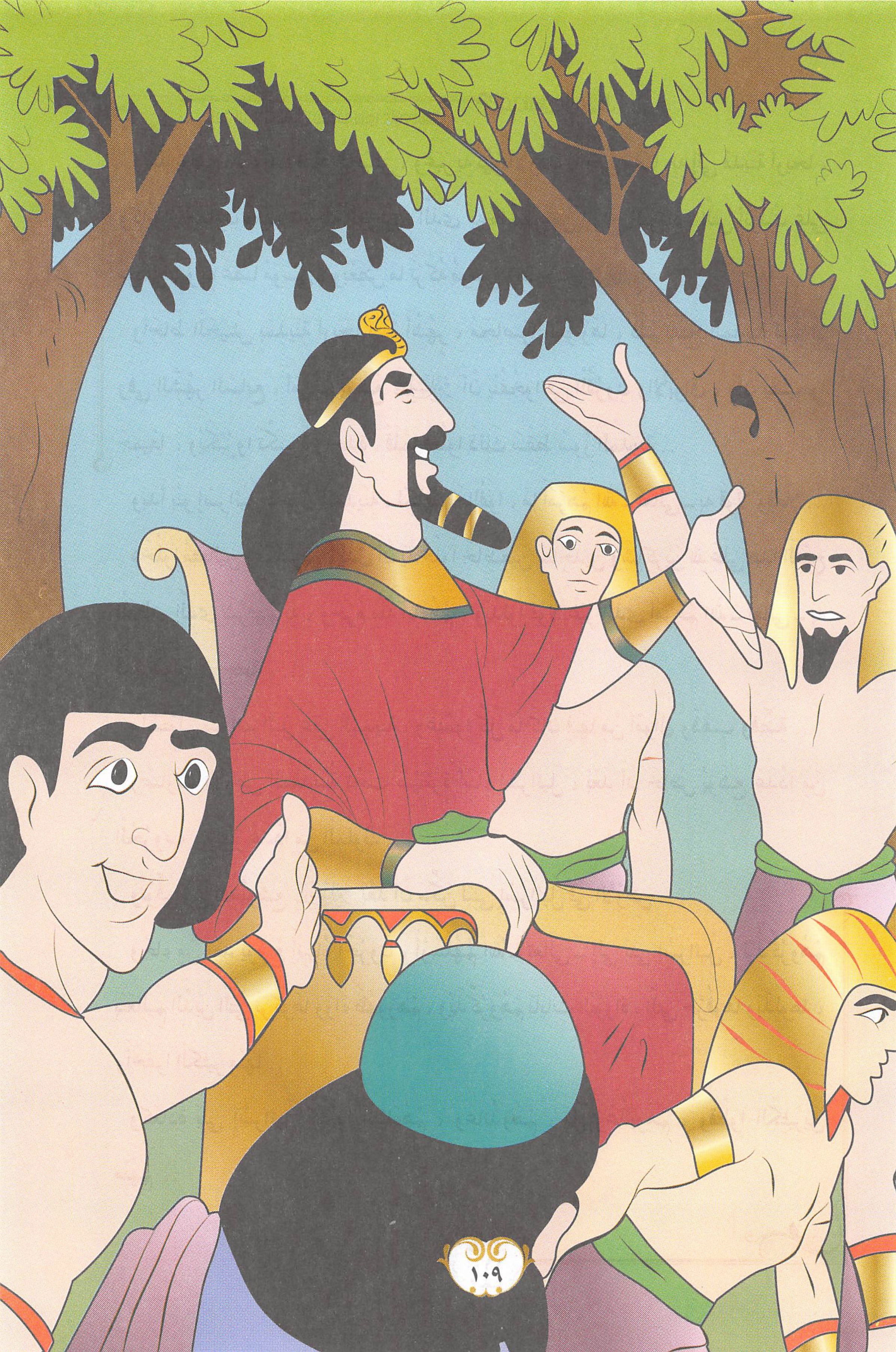
وتَوَلَّى أَمْرَ بَنِى إِسْرائيلَ بَعْدَ رَحِيلِ مُوسَى وهَارُون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ نَبِى جَدِيدٌ هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُون ، وهُوَ الَّذِى رَافَقَ مُوسَى فى قِصَّةِ الْعَبْدِ الصَّالِح ، فَقَامَ يُوشَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَمْرِ بَنِى إِسْرائيلَ خَيْرَ قِيَامٍ ، وأَتَمَّ إِعْدَادَ الْجَيْش لِدُخُولِ الأَرْضِ المقَدَّسَةِ خَيْرَ إِعْدَاد ..

وانْتَهَتْ سَنَواتُ التِّيهِ بَعْدَ أَنْ فَنِى كُلُّ جِيلِ الآبَاءِ الَّذِينَ جَبُنُوا عَنْ دُخُولِ الأَرْضِ المقَدَّسَةِ والْقِتَالِ مَعَ مُوسَى ..

وأَصْبَحَ الْجَيْشُ بِقِيَادَةِ يُوشَع بْن نُونٍ جَاهِزًا لِدُخُول الأَرْضِ الَّتِى وَعَدَهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِدُخُولِهَا ..

فَأَمَرَ اللهُ ـ تعالَى ـ نَبِيَّهُ يُوشَع أَنْ يَتَحَرَّكَ بِقَوْمِه ، وأَنْ يَعْبُرَ بِهِمْ نَهْرَ الأُرْدُن ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَدِينَةِ أَرِيحَا ، فَيَفْتَحَهَا .. وكَانت أَرِيحَا مَدِينَة غَنِيَّةً بِالْقُصُورِ ، ذَاتَ أَسْوارٍ عَالِيةٍ حَصِينَةٍ ..

وأَمَرَ اللهُ بَنِى إِسْرائيلَ أَنْ يَدْخُلُوا المدِينَةَ سَاجِدِينَ خَاضِعِينَ ومُتَوَاضِعِينَ وشَاكِرِينَ لَهُ عَلَى هَذَا النَّصر ، الَّذِى امْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ ، والَّذِى لَمْ يَنْعَمْ بِهِ آبَاؤُهُم بِسَبَبِ جُبْنِهِمْ ورَفْضِهِمُ الْقِتَالَ ، كَمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا فى أَثْنَاءِ دُخُولِهِمُ المدِينَةَ : « حِطَّةٌ » أَى حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا السَّابِقَة ، وجُبْنَ آبَائِنَا ..



ونفَّذ يُوشعُ أمْرَ رَبِّه ، فقَادَ الْجَيْش ، وعَبرَ بِهِ نَهْرَ الأرْدُن ، حتَّى وَصَلَ بِهِ إلى مَدِينَةِ أَرِيحَا ، وكَانُوا يَحْمِلُونَ مَعَهُمْ تابُوتَ الْعَرْشِ ، الَّذى بِهِ مَا تبَقَّى مِنْ أَلْوَاحِ التَّوْرَاةِ ، الَّتِى أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى ، و بِهِ عَصَا مُوسَى ، وبَعْضُ مَا تَرَكَهُ مُوسَى وهَارُونُ عليهما السلام .

وأَحَاطَ الْجَيْشُ بِمَدِينَةِ أَرِيحَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، مُحَاصِرًا أَسْوَارَهَا ، فَلَمْ تُفْتَحِ المدِينَةُ لَهُمْ .. وفى الشَّهْرِ السَّابع ، أَمَرَهُمْ يُوشَعُ عليه السلام أَنْ يَنْفُخُوا فى الْقُرُونِ والأَبْواقِ ، وأَنْ يَصِيحُوا جَمِيعًا ، ويُكَبِّرُوا تَكْبِيرةً وَاحِدَةً ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ سَقَطَ سُورُ المدِينَةِ ..

وبَدَأَ بَنُو إسْرائيلَ دُخُولَ المدِينَةِ ، لَكِنَّهُمْ خَالَفُوا ، مَا أَمَرَهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِهِ قَوْلًا وفِعْلًا .. دَخَلُوا مُتَعَالِين ومُتَكَبِّرِين ، بَدَلَ أَنْ يَدْخُلُوا خَاضِعِينَ سَاجِدِينَ وشَاكِرِينَ للهِ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ الَّذى شَرَّفَهُمْ بِهِ ، وحَرَمَ مِنْهُ آباءَهُمْ ، وبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى أَمَرَهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِهِ فَلَمْ يَقُولُوا : « حِطَّةٌ » ..

واسْتَوْلَى بَنُو إسْرائيل عَلَى المدِينَةِ ، وغَنِمُوا كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَمْوالٍ وذَهَبٍ وفِضَّةٍ .. وصَارَت الأَرْض المقَدَّسَةُ تَحْتَ سَيْطَرَةِ أَبْنَاءِ إسْرائيلَ ، بَعْدَ أَنْ خَاضَ يُوشَع عَدَدًا مِنَ الْحُرُوبِ ، وقَهَرَ عَدَدًا مِنَ الْملُوك ..

وتُوُفِّى نَبِى اللهِ يُوشَع عليه السلام بَعْدَ أَنْ مَكَّنَ لِبَنِى إسْرائيلَ فى الأَرْضِ ..

وجَاء مِنْ بَعْدِ يُوشَعَ أَنْبِياءُ آخَرُونَ ، أَرْسَلَهُمُ اللهُ ـ تعالَى ـ إلَى بَنِى إِسْرائيلَ ، لِيُذَكِّرُوهُمْ بِتَعَالِيم الدِّينِ الَّتِى تَرَكُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، ويُذَكِّرُوهُمْ بآيَاتِ التَّوْرَاةِ ، الَّتى حَرَّفُوهَا وبَدَّلُوهَا ، وأَخْفَوا الْكَثِيرَ مِنْهَا ..

وكَعَادَةِ بَنِى إسْرائيل كَذَّبُوا أَنْبِيَاءَهُمْ ، وعَانَدُوهُمْ ، بَلْ وعَذَّبُوهُمْ ، وقَتَلُوا الكَثِيرِينَ مِنْهُمْ ..



وكانَ مِنْ بَيْنِ الأَنْبِياء ، الَّذِين أَرْسَلَهُمُ اللهُ لِبَنى إسْرائيلَ نَبى يُقَالُ لَهُ « كَالِبُ بْنُ يُوفنا » ، ونَبِى يُقَالُ لَهُ « حَزْقِيلُ بْنُ بُوذى » وهُوَ الَّذِى يُقَالُ لَهُ « ابْنُ الْعَجُوزِ » ..

وسَبَبُ تَسْمِيَةِ حَزْقِيلُ بِابْنِ الْعَجُوزِ أَنَّ أُمَّهُ رُزِقَتْ بِهِ عَلَى كِبَرٍ ، وكَانَتْ قَدْ صَارَتْ عَجُوزًا عَاقِرًا فَلَمَّا سَأَلَتِ اللهَ أَنْ يَرْزُقَها الْوَلَدَ ، وَهَبَهَا إِيَّاهُ ..

ونَبى اللهِ « حَزْقِيل » لَهُ قِصَّةٌ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ بَنى إسْرائيلَ ، فَقَدْ أَصابَ قَوْمَهُ بَلاءٌ عَظِيمٌ وفَقْرٌ شَدِيدٌ ، فَشَكَوْا ما أَصابَهُمْ قَائِلين :

ـ لَيْتَنا مُتْنَا ، فَاسْتَرَحْنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ..

فَأَوْحَى اللهُ ـ تعالَى ـ إِلَى نَبِيِّه « حَزْقِيل » :

ـ إِنَّ قَوْمَكَ صَاحُوا مِن الْبَلاءِ ، وزَعَمُوا أَنَّهُمْ وَدُّوا لَوْ مَاتُوا فَاسْتَرَاحُوا ، وأَىُّ رَاحَةٍ لَهُمْ فى المَوْتِ ؟!

أَيَظُنُّونَ أَنِّى لا أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَبْعَثَهُمْ بَعْدَ المَوْتِ ؟!

ويُقالُ إِنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قَدْ أَمَرَ نَبيه حَزْقِيلَ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى مَقْبَرَةٍ جَماعِيَّةٍ فى قَرْيَةٍ حَدَّدَهَا لَهُ ، وقَدْ دُفِنَ فيها عدَّةُ آلافٍ مِنَ النَّاسِ ، أَمَاتَهُمُ اللهُ جَمِيعًا ، بَلِيَتْ أَجْسَادُهُمْ ..

وذَهَبَ حَزْقِيلُ إِلَى هُناك ، فَلَمَّا رآهُمْ ، وقَدْ تَفَرَّقَتْ عِظَامُهُمْ ، تَعَجَّبَ فى نَفْسِهِ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ عَلَى إِحْيائِهِم ..

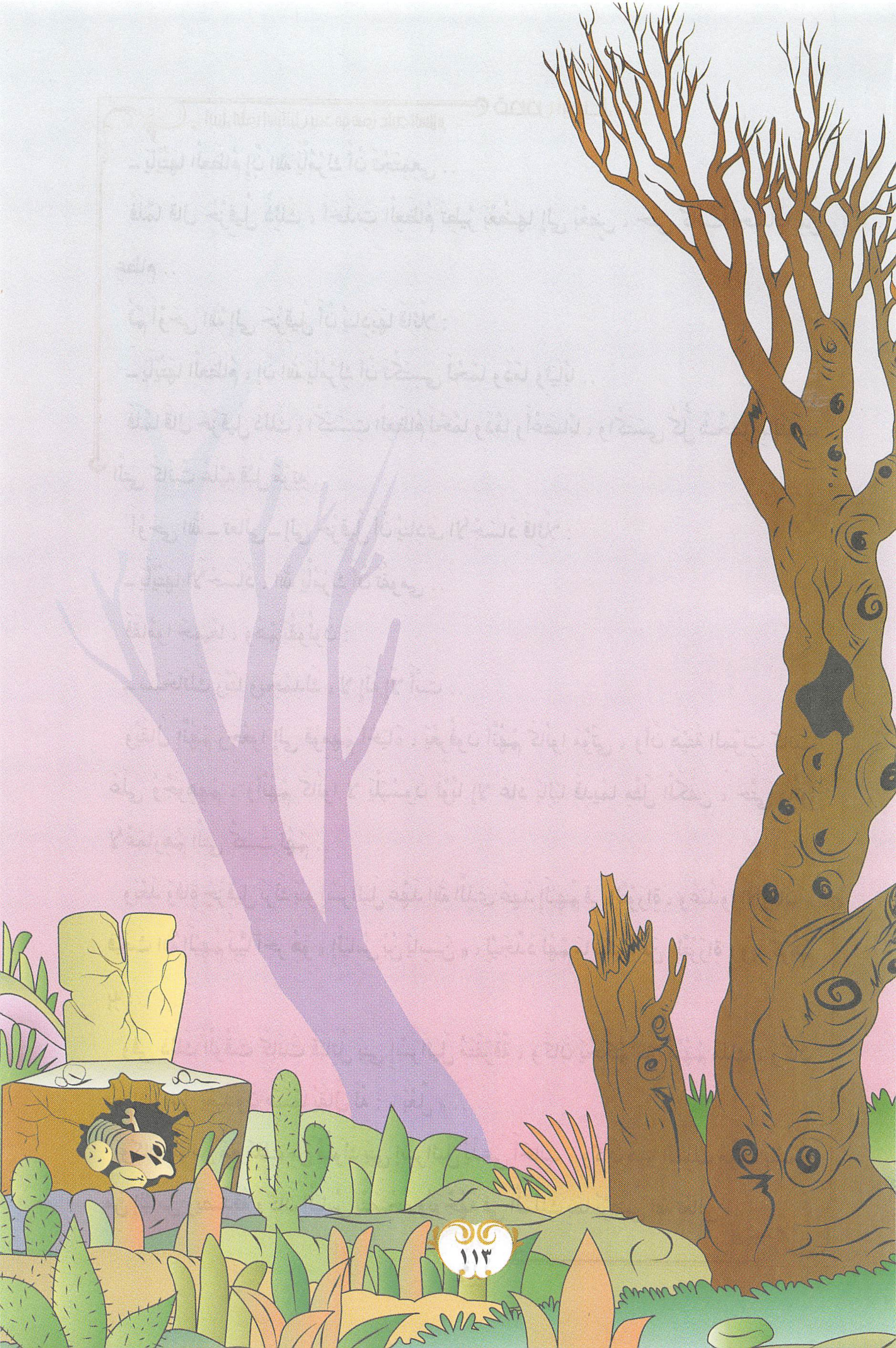
ويُقَالُ : إِنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ :

ـ يا حَزْقِيلُ ،أَتُرِيدُ أَنْ أُرِيَكَ كَيْفَ أُحْيِيهِم ؟

فَقَالَ حَزْقِيل :

ـ نَعَمْ ..

فَأَمَرَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ أَنْ يُنادِىَ الْعِظَامَ قَائِلاً :



ـ يأَيَّتُها الْعِظَامُ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَجْتَمِعى ..

فَلَمَّا قال حزْقِيلُ ذَلِك ، أَخَذَتِ الْعِظَامُ تَطِيرُ بَعْضُها إِلى بَعْضٍ ، حَتَّى كَانَتْ أَجْسَادًا مِنْ عِظَام ..

ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلى حَزْقِيلُ أَنْ يُنادِيَهَا قَائِلًا :

ـ يَأَيَّتُهَا الْعِظَامُ ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَكْتَسِى لَحْمًا ودَمًا وثِيَابًا ..

فَلَمَّا قَالَ حَزْقِيلُ ذَلِك ، اكْتَسَتِ الْعِظَامُ لَحْمًا ودَمًا وأَعْصابًا ، واكْتَسَى كُلُّ شَخْصٍ بِالثِّيَابِ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ..

أَوْحَى اللهُ ـ تعالَى ـ إِلى حَزْقِيلُ أَنْ يُنادِىَ الأَجْسَادَ قَائِلًا :

ـ يَأَيَّتُهَا الأَجْسَادُ ، الله يَأْمُرُكِ أَنْ تَقُومى ..

فَقَامُوا جميعًا ، وهُمْ يَقُولُونَ :

ـ سُبْحَانَك رَبَّنَا وبِحَمْدِك ، لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ ..

ويُقَالُ إِنَّهُمْ رَجَعُوا إِلى قَوْمِهِمْ أَحْيَاءً ، يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى ، وأَنَّ هَيْئَةَ المَوْتِ كَانَتْ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وأَنَّهُمْ كَانُوا لا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا إِلا عَادَ بَالِيًا قَدِيمًا مِثْلَ الْكَفَنِ ، حَتَّى مَاتُوا لأَعْمَارِهِمُ الَّتِى كُتِبَتْ لَهُمْ ..

وبَعْدَ وَفَاةِ حزْقِيل تَرَكَ بَنُو إِسْرائيلَ عَهْدَ اللهِ الَّذى عهِدَ إِلَيْهِمْ فى التَّوْرَاةِ ، وعَبَدُوا الأَوْثَانَ ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا آخرَ هُوَ « إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ » ، لِيُجَدِّدَ لَهُمْ مَا نَسُوهُ مِنَ التَّوْرَاةِ ، ويُذَكِّرَهُمْ بِهِ ..

وفى ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ قَبَائِلُ بَنِى إِسْرائيلَ مُتفرِّقَةً ، وكَانَ يَحْكُمُ كُلًّا مِنْهُمْ مَلِكٌ ، وكَانَ بَنُو إِسْرائيلَ يَعْبُدُونَ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ : « بَعْلٌ » ..

وكَانَ إِلْيَاسُ مَعَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ بَنِى إِسْرائيلَ يُدْعَى أَحاب ، وكَانَ هَذَا المَلِكُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ مِنْ إِلْيَاس ويُصَدِّقُهُ وكَانَ إِلْيَاسُ يَنْصَحُهُ ويُوَجِّهُهُ فى الْمُلْكِ بِمَا يُرْضِى اللهَ تَعَالَى ..



وذاتَ يَوْمٍ قالَ هَذا الملكُ لإِلْيَاسَ :

ـ واللهِ مَا أَرَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ إِلّا بَاطِلًا ، واللهِ مَا أَرَى فُلانًا وفُلانًا .. (وأَخذَ يَعُدُّ لَهُ مُلُوك بَنِى إِسْرائيلَ الَّذين يَعْبُدونَ الأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللهِ) إِلَّا عَلى مِثْلِ مَا نَحْنُ فِيهِ يَأْكُلون ويَشْرَبُونَ ويَتَنَعَّمُونَ ، ومَا يُنْقِصُ دُنْيَاهُمْ عِبادَتُهُمْ لِغَيْرِ اللهِ ، ومَا نرى لَنَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ ..

ويَقُولُونَ إِنَّ إِلْيَاسَ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وخَرَجَ مِنْ صُحْبَةِ هَذا الملكِ ، الَّذى عَبَدَ الأَوْثَانَ ، وصَنَعَ مِثْلَ ما يَصْنَعُونَ ..

فَقَالَ إِلْيَاسُ :

ـ اللهُمَّ إِنَّ بَنِى إِسْرائيلَ قَدْ أَبَوْا إِلَّا الْكُفْرَ بِكَ ، والْعِبَادَةَ لغَيْرِكَ ، فَغَيِّرْ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِكَ ..

ويُقَالُ إِنَّهُ قَدْ دَعَا بِحَبْسِ المطرِ عَنْهُمْ ، فَحَبَسَ اللهُ المطرَ عَنْ بَنى إِسْرائيل ثَلاثَ سَنَواتٍ ، حَتَّى هَلَكَتِ الماشِيَةُ والدَّوَابُّ والزَّرْعُ والشَّجَرُ ، وتَعِبَ بَنُو إِسْرائيلَ تَعَبًا شَدِيدًا ..

ويُقَالُ إِنَّ إِلْيَاسَ عليه السلام حِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ اسْتَخْفَى عَنْهُمْ شَفَقَةً عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ ..

وكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلى مَكَانٍ وهُمْ جَادُّونَ فى الْبَحْثِ عَنْهُ ، فَإِذَا وجَدُوا رِيحَ الْخُبْزِ فى بَيْتٍ ، قَالُوا : لَقَدْ دَخَلَ إِلْيَاسُ هَذَا الْبَيْتَ ، وكَانَ أَهْلُ الْبَيْت يَلْقَوْنَ الأَذَى مِنْهُمْ ..

وذَاتَ لَيْلَةٍ دَخَلَ إِلْيَاسُ بَيْتَ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِى إِسْرائيلَ ، لَهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ الْيَسع ، وكَانَ الْيَسَعُ شَابًّا مريضًا فَدَعَا لَهُ إِلْيَاسُ فَشُفِىَ ..

آمنَ الْيَسَعُ بِإِلْيَاسَ وصَدَّقَهُ وتَبِعَهُ ، فَكَانَ يَذْهَبُ مَعَهُ حَيْثُما ذَهَبَ .. وكَانَ إِلْيَاسُ قَدْ صَارَ شَيْخًا كَبِيرًا .. فَلَمَّا انْتَقَلَ إِلى جِوَارِ رَبِّهِ ، قَامَ الْيَسَعُ بِأَمْرِ بَنى إِسْرائيلَ بَعْدَهُ ..

وعَاشَ الْيَسَعُ فى بَنِى إِسْرائيلَ يَدْعُوهُم إِلى اللهِ ، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ ، فَعَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وعِصْيَانِهِمْ وجُحُودِهِمْ لِنِعَمِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ عَلَيْهِمْ ..



وقَدْ ظَلَّ بَنُو إِسْرائيلَ يَتوارَثُونَ تابُوتَ الْعَهْدِ ، بِمَا فيهِ مِنَ السَّكِينَةِ ، ومِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هارُونَ فَكَانُوا لاَ يَلْقَاهُمْ عَدُوٌّ ، فَيُقَدِّمُونَ التَّابُوتَ ويَزْحَفُونَ بِهِ مَعَهُمْ إلا هَزَمَ اللهُ ذَلِكَ الْعَدُوَّ ..

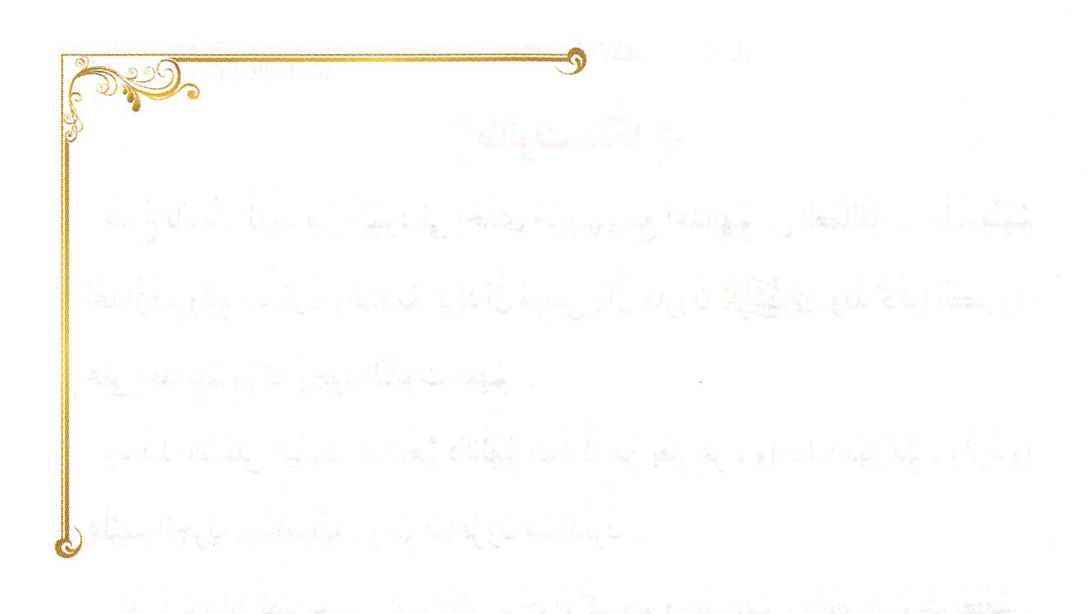
وفي إِحْدَى الْحُرُوبِ ضَاعَ مِنْهُمْ تابُوت الْعَهْدِ ، ضَاعَ التَّابُوت بِمَا يَحْوِى مِنْ آثَارٍ دِينيَّةٍ ، وبَرَكَةٍ لِلْيَهُودِ ..

سَلَبَهُ مِنْهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ ..

ولَمَّا سَمِعَ إيلاف مَلِكُ الْيَهُودِ الْخَبَرَ ، مَالَتْ عُنُقُهُ ومَاتَ كَمَدًا ..

وسَلَّطَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ يَنْتَقِمُونَ مِنْهُمْ ويَسْتَعْبِدُونَهُمْ ويَسْتَذِلُّونَهُمْ .. حَتَّى بَعَثَ اللهُ فِيهِمْ طَالُوتَ مَلِكًا ..

تَمَّتْ



قصص الأنبيـاء

داود عليه السلام





طالوت ملكًا

ضَاعَ تابُوتُ الْعَهْدِ مِنَ الْيَهُودِ فى إِحْدَى حُرُوبِهِمْ مَعَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ .. سَلَبَهُ مِنْهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ وفِيهِ السَّكِينَةُ وبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هَارُون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وقَدْ كَانُوا يَنْتَصِرُون عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِبَرَكَةِ وُجُودِ التَّابُوت مَعَهُمْ ..

وسَلَّطَ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ أَعْدَاءَهُمْ فَأَذَلَّهُمُ الملوكُ مِنْ بَعْدِ عِزٍّ ، واحْتَلُّوا دِيارَهُمْ ، وفَرَضُوا عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ ، يَدْفعُونهَا ، وهُمْ صَاغِرُون مُسْتَذَلُّونَ ..

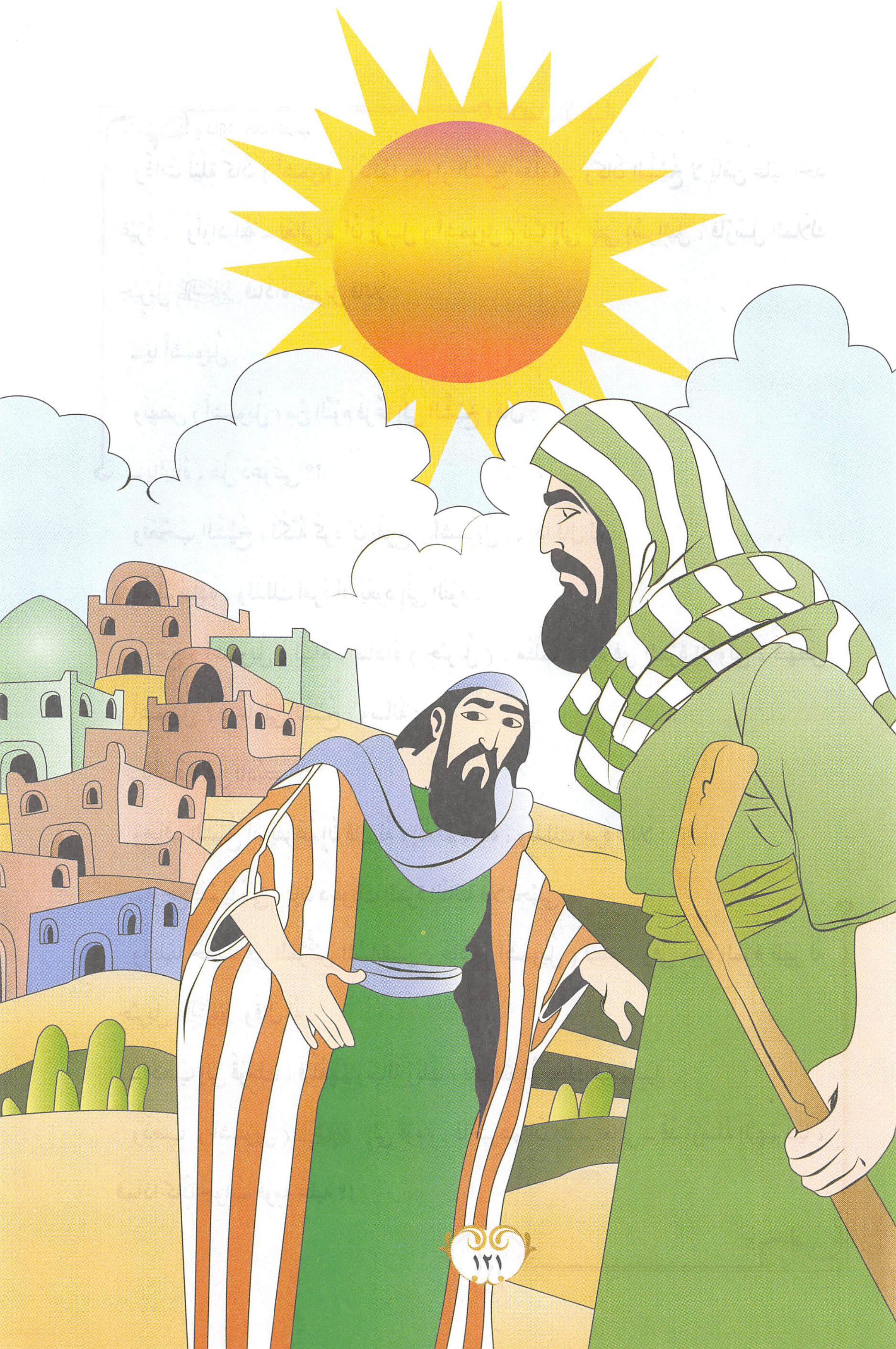
وقَدْ كَانَ هَذَا الْعِقَابُ مِنَ اللهِ ـ تَعَالَى ـ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وعِصْيَانِهِمْ ، وتَحْرِيفِهِمْ شَرِيعَتَهُمْ ، وتَكْذِيبِهِمْ لأَنْبِيَاءُ اللهِ ، بَلْ وقَتْلِهِمْ إِيَّاهُمْ .. وهَكَذا حتَّى فَنِىَ الأَنْبِيَاء جَمِيعًا مِنْ سِبْطِ لاَوِى ، وهَو سِبْطِ الأَنْبِيَاءِ فى بَنِى إِسْرَائِيلَ ، بَيْنَما كَانَ الملُوكُ مِنْ سِبْطِ يَهُوذا ..

ولَمْ يَبْقَ مِنْ سِبْطِ لاَوِى سِوَى امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ حَامِلٍ ، وكَانَ بَنُو إِسْرائيلَ يَدْعُونَ اللهَ ـ تَعَالَى ـ أَنْ يُرْسِلَ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ سبْطِ النُّبُوَّةِ ..

ولِذَلِكَ أَخَذُوا هَذِهِ المرْأَةَ وحَبَسُوهَا فى بَيْتٍ وقَامُوا عَلَى رِعَايَتِهَا ، حَتَّى تَضَعَ مَوْلُودَهَا ، والَّذِى سَوْفَ يَكُونُ نَبِيًّا ..

وأَخَذَتِ المرْأَةُ تَدْعُو اللهَ أَنْ يَرْزُقَهَا غُلامًا ، فَلَمَّا وَضَعَتْ غُلامًا أَسْمَتْهُ « سَمْعُون » لأَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ سَمِعَ دُعَاءَهَا ، واسْتَجَابَ لَهَا فَوَهَبَهَا وَلَدًا ، وهُوَ بِالْعِبْرِيَّةِ (أشمويل) أَى إِسْمَاعِيل ..

تَرَبَّى الْغُلامُ ، حَتَّى كَبِرَ ، فَأَسْلَمَتْهُ إِلَى بَيْتِ المقْدِس ، لِيَتَعَلَّمَ التَّوْرَاةَ ، فَكَفَلَ الْغُلامَ شَيْخٌ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِى إِسْرائِيلَ ، وتَبَنَّاهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَبْلَغَ النُّبُوَّةِ ..وكَانَ الشَّيْخُ يَخَافُ عَلَيْهِ ويَرْعَاهُ ، حَتَّى لا يَنْقَطِعَ سِبْطُ النُّبُوَّةِ مِن بَنِى إِسْرائِيلَ ..



وذاتَ لَيْلَةٍ كانَ (أَشمويلُ) نائمًا بِجوار الشَّيْخِ مُعَلِّمِه ، وكَانَ الشَّيْخُ لا يَأْمَن عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَهُ .. وأَرادَ اللهُ ـ تعَالَى ـ أَنْ يُرْسِلَ (أَشمويلَ) نَبِيًّا إِلَى بَنِى إِسْرائِيل ، فأَرْسَلَ الملاَكَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنادَاهُ جِبْرِيلُ قَائِلاً :

ـ يا أَشمويلُ ..

ونَهَضَ (أَشمويلُ) مِنَ النَّوْمِ فزعًا إِلَى الشَّيْخِ وقَالَ :

ـ ياأَبَتَاهُ ، هَلْ دَعَوْتَنِى ؟!

وتَعَجَّبَ الشَّيْخُ ، لَكِنَّهُ كَرِهَ أَنْ يفْزِعَ (أَشمويلُ) ، إِذا قال لَهُ :

إِنَّهُ لَمْ يُنَادِهِ ، ولِذلكَ أَمَرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى النَّوْمِ ..

ورجعَ (أَشمويلُ) لِيَنامَ ، فَنادَاهُ (جِبْرِيلُ) ، مِثْلَمَا نَادَاهُ فى المرَّةِ الأُولَى ، فَنَهَضَ (أَشمويلُ) فَزِعًا إِلَى الشَّيْخِ ، وسَأَلَهُ :

ـ ياأَبَتَاهُ ، هَلْ نادَيْتَنِى ؟!

وخَافَ الشَّيْخُ أَنْ يَفْزَعَهُ إِنْ قَالَ لَهُ ، إِنَّهُ لَمْ يُنَادِهِ ، ولِذلكَ أَمَرَهُ قَائِلاً :

ـ ارْجِعْ فَنَمْ يَا بُنَىَّ ، فَإِنْ دَعَوْتُكَ المرَّةَ الثَّالِثَةَ فَلا تُجِبْنِى ..

ومِثْلَمَا حَدَثَ فى المرَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ ، عَادَ (أَشمويلُ) لِيَنامَ ، وفى هَذِهِ المرَّةِ ظَهَرَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقَالَ لَهُ :

ـ اذْهَبْ إِلَى قَوْمِكَ ، فَبَلِّغْهُمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ ، فَإِنْ اللهَ قَدْ بَعَثَكَ فِيهِمْ نَبِيًّا ..

وذَهَبَ (أَشمويلُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا ، فَماذَا كَانَ جَوابُ قَوْمِهِ عَلَيْه ؟!



سَخِرُوا مِنْهُ كَمَا سَخِروا مِنْ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ، ومِنْ بَعْدِهِ ، وكَذَّبُوهُ كَمَا كَذَّبُوهُمْ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ..

اسْتَخَفُّوا بِهِ لِصِغَرِ سِنِّهِ ، قَائِلِينَ :

ـ لَقَدِ اسْتَعْجَلْتَ بالنُّبُوَّةِ يا (أشمويلُ) ..أَنْتَ لَمْ تَزَلْ صَغِيرًا فَكَيْفَ تَكُونُ نَبِيًّا ؟!

وحَاوَلَ (أَشمويلُ) أَنْ يُقْنِعَهُمْ بأَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يُخبِرُهُمْ بِهِ ، فَقَالُوا لَهُ :

ـ إِنْ كُنْتَ يا (أَشمويلُ) صَادِقًا فِيمَا تَزْعُمُ ، فَابْعَثْ لَنَا مَلِكًا ، حَتَّى يَجْمَعَ شَمْلَنا ، ويُوَحِّدَ صُفُوفَنَا ، لِكَيْ نُقَاتِلَ مَعَهُ فى سَبِيلِ اللهِ ..

وقَدْ كَانَ (أَشمويلُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ عَالِمًا بِمَا تَنْطَوِى عَلَيْهِ نُفُوسُ بَنِى إِسْرائِيلَ مِنْ مَكْرٍ وخَدِيعَةٍ ، وجُبْنٍ عِنْدَ مُلاقَاةِ الأَعْدَاءِ ، ولِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ :

ـ أَخْشَى إِنْ فَرَضَ اللهُ الْقِتَالَ وكَتَبَهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْبُنُوا عِنْدَ مُلاقَاةِ الأَعْدَاءِ ، وتَفِرُّوا مِنْ مَيْدَانِ الْقِتَالِ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ قَائِلِينَ :

ـ ولماذَا لا نُقَاتِلُ فى سَبِيلِ اللهِ ، وقَدْ أَخْرَجَنَا الأَعْدَاءُ مِنْ أَرْضِنا ودِيَارِنَا ، وأَسَرُوا أَبْنَاءَنَا ، وفَرَضُوا عَلَيْنَا الْجِزْيَةَ ؟! لماذا لا نُقَاتِلُ فى سَبِيلِ اللهِ ، وقَدْ سَلَبَ أَعْدَاؤُنَا مِنَّا تَابُوتَ الْعَهْدِ ، وفِيهِ السَّكِينَةُ ، وبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هَارُونَ ؟!

وقَدْ ظَهَرَ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُمْ لَمَّا كَتَبَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ جَبُنُوا عَنْ لِقَاءِ الأَعْدَاءِ ، وتَوَلَّوْا رَاجِعِينَ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ..

أَخْبَرَهُمْ (أَشمويلُ) بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ قَد اخْتَارَ لَهُمْ طَالُوتَ مَلِكًا وأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ويُقَاتِلُوا تَحْتَ لِوَائِهِ ..



وكَانَ جَوابُ بَنِى إِسْرائِيلَ عَلَى نَبِيِّهِمْ أَنَّهُمْ اسْتَنْكَرُوا اخْتِيَارَ طَالُوتَ لِيَكُونَ مَلِكاً عَلَيْهِمْ ، بِرَغْمِ أَنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ هُوَ الَّذِى اخْتَارَهُ لَهُمْ .. وهَذِهِ هِى عَادَةُ الْيَهُودِ فِى كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ .. المجَادَلَةُ والاسْتِنْكَارُ ، حَتَّى لَوْ كَانَتِ المجَادَلَةُ مَعَ اللهِ وأَنْبِيَائِه ..

اسْتَنْكَرَ بَنُو إِسْرائِيلَ أَنْ يَكُونَ طَالُوتُ مَلِكاً عَلَيْهِمْ ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ المُلُوكِ ، فَقَدْ كَانَ طَالُوتُ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ ، ولذَلِكَ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ :

ـ كَيْفَ يَكُونُ طَالُوتُ مَلِكاً عَلَيْنا ؟! نَحْنُ أَحَقُّ بِالملْكِ منْهُ .. إِنَّ طَالُوتُ فَقِيرٌ ولَيْسَ لَدَيْه مَالٌ ، ولِذَلِكَ لا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَكُونَ مَلِكاً عَلَيْنا ..

ورَدَّ عَلَيْهِمْ (أَشمويل) قَائِلاً :

ـ إِنَّ اللهَ فَضَّلَ طَالُوتَ عَلَيْكُمْ ، وزَادَهُ عَلَيْكُمْ فِى الْعِلْمِ والْقُوَّةِ وطُولِ الْجِسْمِ ..

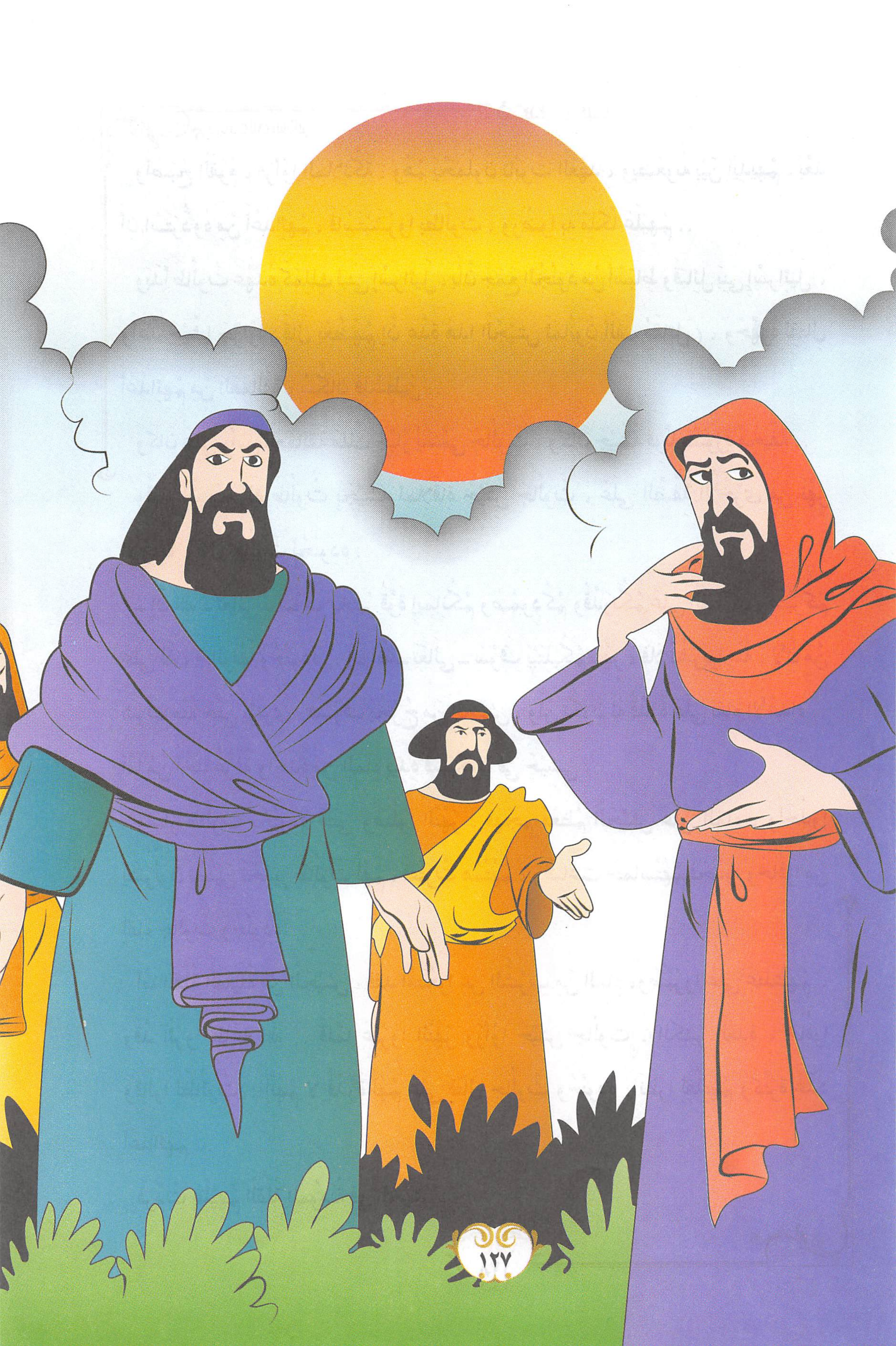
واللهُ ـ تَعَالَى ـ يُعْطِى مُلْكَهُ لمنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَلا دَخْلَ لِى ولا لَكُمْ فِى هَذَا الاخْتِيَارِ ، لأَنَّه اخْتِيَارُ اللهِ وَحْدَهُ ..

وظَلَّ الْقَوْمُ يَلْوُونَ أَعْنَاقَهُمْ ، غَيْرَ مُقْتَنِعِينَ بِأَنْ يَكُونَ طَالُوتُ مَلِكاً عَلَيْهِمْ ..

وهُنَا قَالَ لَهُمْ (أَشمويلُ) :

ـ إِنَّ بَرَكَةَ طَالُوتَ عَلَيْكُمْ ، أَنَّ اللهَ سَوْفَ يَرُدُّ عَلَيْكُمْ تَابُوتَ الْعَهْدِ ، الَّذِى سَلَبَهُ مِنْكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ ، والَّذِى سَتَعُودُ إِلَيْكُمْ الانْتِصَاراتُ عَلَى أَعْدَائِكُمْ بِبَرَكَةِ وُجُودِهِ بَيْنَكُمْ ، سَوْفَ تَأْتِى الملائِكَةُ ، وهِىَ تَحْمِلُ التَّابُوتَ ، وسَوْفَ تَرَوْنَهُم بِأَعْيُنِكُمْ ، وفِى ذَلِكَ دِلالَةٌ عَلَى صِحَّةِ وَلايَةِ طَالُوتَ ، واخْتِيَارِهِ مَلِكاً عَلَيْكُمْ ..

وهَكَذَا رَضِىَ الْقَوْمُ بِطَالُوتَ مَلِكاً عَلَى مَضَضٍ ، وانْتَظَرُوا أَنْ يَأْتِيَهُمُ التَّابُوتُ تَحْمِلُهُ الملائِكَةُ ، كَمَا وَعَدَهُمْ نَبِيُّهُمْ ..



وأَصْبَحَ الْقَوْمُ ، فرَأَوُا الملائِكَةَ ، وهُمْ يَحْمِلُونَ تابُوتَ الْعَهْدِ ، ويَضَعُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، بَعْدَ أَنِ اسْتَرَدُّوهُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ ، فَاسْتَبْشَرُوا بطالُوتَ ، ورَضُوا بِهِ مَلِكًا عَلَيْهِمْ ..

وبَدَأَ طَالُوتُ عَهْدَهُ كَمَلِكٍ لِبَنِي إسْرائِيلَ ، بأَنْ جمَعَ الجُنُودَ مِنْ أَسْبَاطِ وقَبَائِلِ بَنِي إسْرائِيلَ ، وأَعَدَّ جَيْشًا جرَّارًا (قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ عِدَّةَ هَذَا الْجَيْشِ ثَمَانُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ) ، وجَهَّزَهُ لِقِتَالِ أَعْدَائِهِمْ مِنَ العَمَالِقَةِ ، سُكَّانِ فِلَسْطِينَ ..

وكَانَ عَلَى رَأْسِ الْعَمَالِقَةِ مَلِكٌ جَبَّارٌ يُسَمَّى جَالُوتَ ، وكَانَ جَيْشُهُ قَوِيًّا بِصُورَةٍ مُخِيفَةٍ ..

وقَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ طَالُوتُ بِجَيْشِهِ لملاقَاةِ جَيْشِ جَالُوتَ ، عَلَى الضَّفَّةِ الأُخْرَى مِنْ نَهْرِ الأَرْدُنِ ، قَالَ طَالُوتُ لِجُنُودِهِ :

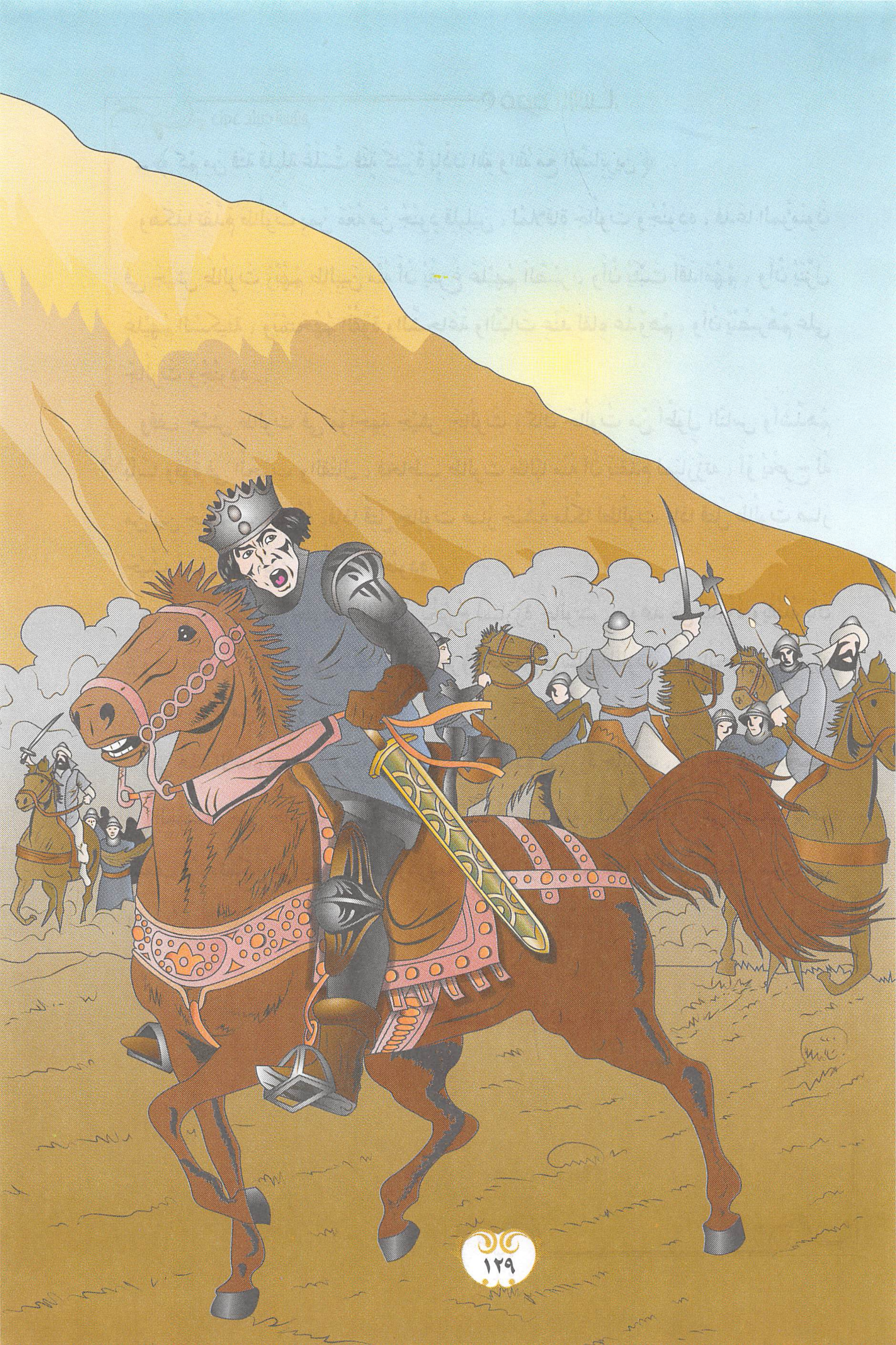
ـ إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ سَوْفَ يَخْتَبِرُ قُوَّةَ إِيمَانِكُمْ وصُمُودِكُمْ وقُدْرَتِكُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وصَبْرِكُمْ عَلَى لِقَاءِ جَالُوتَ وجُنُودِهِ .. إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ سَوْفَ يَبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ ، فَلا تَشْرَبُوا مِنْهُ ، لأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ حَتَّى يَرْتَوِيَ ، فَسَوْفَ يَخْرُجُ مِنَ الْجَيْشِ ، ولَنْ تَكُونَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى لِقَاءِ الأَعْدَاءِ .. أَمَّا مَنْ أَخَذَ غُرْفَةً وَاحِدَةً مِنَ الماءِ بِيَدِهِ فَسَيَكُونُ فِي جَيْشِي ..

وسَارَ طَالُوتُ بِجُنُودِهِ حَتَّى وَصَلُوا النَّهْرَ ، فَهَجَمَ مُعْظَمُ الْجَيْشِ عَلَى الماءِ ، وأَخَذُوا يَشْرَبُونَ نَاسِينَ تَحْذِيرَ طَالُوتَ لَهُمْ ، فَفَتَرَتْ هِمَّتُهُمْ ، وضَاعَتْ حَمَاسَتُهُمْ فَجَبُنُوا وخَافُوا مِنْ لِقَاءِ جَالُوتَ وجُنُودِهِ ..

أَمَّا الْقِلَّةُ الْقَلِيلَةُ مِنَ الْجَيْشِ ، فَقَدِ امْتَنَعُوا عَنِ الشُّرْبِ مِنَ الماءِ ، وصَبَرُوا عَلَى عَطَشِهِمْ ، وقَدْ آثَرُوا طَاعَةَ اللهِ .. فَلَمَّا عَبَرُوا النَّهْرَ ورَأَوْا جَيْشَ جَالُوتَ ، الكَثِيرَ الْعُدَّةِ ، خَافُوا وقَالُوا لِطَالُوتَ : إِنَّهُمْ لا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى قِتَالِ جَالُوتَ وجُنُودِهِ ، نَظَرًا لِقِلَّتِهِمْ وكَثْرَةِ عَدَدِ أَعْدَائِهِمْ ..

فَرَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْقِلَّةُ المؤْمِنَةُ فِي الْجَيْشِ :





ـ ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ..

وهَكَذا تقدَّمَ طَالُوتُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودٍ قَلِيلِينَ ، لِمُلاقَاةِ جَالُوت وجُنُودِهِ ، فَدعَا المؤْمنُونَ فى جَيْش طَالُوتَ رَبَّهُمْ طالِبِينَ منْهُ أَنْ يُفرِغَ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ ، وأَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُم ، وأَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ، ويَمْنَحَهُمُ الْقُوَّةَ والشَّجاعَةَ والثَّباتَ عِنْدَ لِقَاءِ عدُوِّهم ، وأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلى جَالُوتَ وجُنُودِهِ ..

وقفَ جَيْشُ طَالُوتَ فى مُواجَهَةِ جَيْش جَالُوتَ وكَانَ جَالُوتُ من أَطْوَلِ النَّاسِ وَأشَدِّهِم بَأْسًا وقُوَّةً فى الْحَرْبِ والْقِتَالِ ، فَخاطَبَ طَالُوتَ طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَتَقدَّمَ لمبارَزَته ، أَوْ يُخْرِجَ لَهُ مِنْ بَيْنِ جُنُودِهِ مَنْ يُبارِزُهُ ،فإذا قُتِلَ جَالُوتَ صارَ جَيْشُهُ مِلْكًا لِطَالُوتَ ،إذا قُتِلَ طَالُوتَ صَارَ جَيْشُهُ أَسْرَى فى أَيْدِى جَالُوتَ وجُنُودِهِ ..

ونَادَى طَالُوتُ بَيْنَ جُنُودِهِ طَالِبًا مَنْ يَخْرُجُ لمبَارَزَةِ جَالُوتَ ، ووعَدَ مَنْ يُبارِزُهُ ويَقْتُلُهُ بأَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ ، ويُقَاسِمَهُ فى مُلْكِهِ ، فَلَمْ يَجْرؤْ أَحدٌ مِنْ فُرْسَانِ طَالُوتَ عَلى الْخُرُوجِ لمبَارَزَةِ جَالُوتَ خَوْفًا مِنْ قُوته و بَطْشِه ..

وفِى هَذِهِ الأَثْنَاءِ تَقَدَّمَ راعٍ صَغِيرٌ ، وأَعْلَنَ اسْتِعْدَادَهُ لمبَارَزَةِ جَالُوت ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ الْجَمِيع مِنَ الموْتِ ، حَتَّى جَالُوتُ نَفْسُهُ حَاوَلَ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْ مُبارَزَتِهِ ، لَكِنَّ هَذا الرَّاعِىَ الصَّغِيرَ بِرَغْمِ ضَعْفِ قُوَّتِه تمكَّنَ مِنْ قَتْلِ جَالُوتَ وهَزِيمَةِ جَيْشِهِ ، ولَمْ يَكُنْ هَذا الرَّاعِىَ الصَّغِيرَ سِوَى نَبِى اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

تَـمَّـــتْ

احرص على اقتنائك المجلد الرابع





رقم الإيداع : ٢١٦٢

الترقيم الدولى : ٢ ـ ٢٨٩ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧


خـطوط للتجـليد
مدينة العبور - المنطقة الصناعية الأولى
تليفون : ٤٦١٠٦٦٣٦ (٠٢)
Khotout.binding@gmail.com